منوعات أدبية

الأبواب الثلاثة

صفاء حسين العجماوي

دار حروف منثورة للنشر الإليكترونى

نوع العمل: منوعات أدبية

اسم العمل: الأبواب الثلاثة

اسم المؤلف: صفاء حسين العجماوي

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الثانية إلكتروني

تصميم الغلاف : فريق الدار

تنسيق داخلي: فريق الدار

تدقيق لغوى: أحمد علي

مؤسس الدار

مروان محمد

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook

Fan page: http://facebook.com/herufmansoura

Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني المجاني ولا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

الأبواب الثلاثة

صفاء حسين العجماوي

منوعات أدبية

"ثلاثة أبواب مختلفة تقف أمامها. تلوح لك الكلمات المختبئة خلفها. تأخذك في جولة في رحاب ثلاثة أنواع أدبية متباينة. تشترك في كونها مهداه إليك، خطها القلب بمداد من محبته لك، متمنيًا أن تنول رضاكم"

الفهرس

الباب الأول: فيما يرى النائم (نوفيلا)

الباب الثاني: يا عزيزي (خواطر)

لا تقع في عشق كاتبة ذكريات

الجنون غفوة

أنهم حمقى ساحرة

في انتظار من لا يأتي القراءة

أنها رسالة للا أحد البحر

أنه ببساطة كاذب يا عزيزي تنانين

أنهم أغبياء كابوس

أننا لا نتعلم أبدًا الليل

حتى أنت يا عزيزي النقد

يخافون الحق الانتقام

حبيسة قرارات

شهيد المجهول

دموع الحب

بلغني فيروز

تجاوزت الثلاثين أفراح

الباب الثالث: شظايا الروح (شعر)

١*أسعد الله صباحك

٢*الغائب الحاضر

٣*تواسيني

٤*بقايا أنثى

٥*يومًا ما

٦*في غيابك

٧*أوراق

٨*مجهدة

٩*رحيل

١٠*يغافل

١١*وأن سألوك

١٢*رفعت يدي

١٣*عمت صباحًا

١٤*في غيابك

١٥* وأسموه فراق

الباب الأول

نوفيلا

فيما يرى النائم

"النفس البشرية هشة في مقابلة من تحب. عندما تعشق تتحول لنسخة مصغرة ممن تهواه، فإن قتل القلب بالخيانة، فأنه يهرب بلا تتوقف. تتلقفه دفاعات عقله الباطن، لتخفي عنه ما لا يستطيع تصديقه، فتمحى هذا الجزء من الذاكرة، أو تختلق له حكاية أو عالم ينشغل به، بل يحياه. تفصله عن الواقع المرير.

وهنا كانت الحكاية أكثر رعبًا من الواقع."

١

بدأ كل شيء بكابوس.

يا ألهي يبدو أنني، وكالعادة لم اجد التعبير عما أريد، ولكن لا يهم، فهذه المخطوطة ليس الهدف منها كتابة عمل أدبي. أنها مجرد فضفضة أشار عليَّ بها طبيبي الخاص، لأخفف عن نفسي العبء الذي سببته الأحداث السابقة.

منذ تلك الأحداث الجسام المتتابعة في سرعة رهيبة يناديني الجميع بالروح الشفافة.

يا له من لقب!

ابغضه كثيرًا لما يحمله من سخريتهم لي. لا يعلمون كم كنت أتمنى أن لا أمر بتلك التجربة القاسية.

التجربة... وأي تجربة... أن يبدأ كل شيء بما يراه النائم.

أتعلمون أن النائم يمر بمراحل عدة للنوم أحداها الأحلام التي غالبًا ما ينساها الإنسان فور استيقاظه. غير أن بعض الأحلام تظل عالقة في الذهن لفترة بعد الاستيقاظ.

أحلام البشر تنقسم لرؤى، وأحلام، وكوابيس، فأنت تتمنى دائمًا أن تحتفظ بتفاصيل الرؤى، ربما تسعد باحتفاظك بجزء من أحلامك، لكن دائمًا ما تكره أن تحتفظ بذكرى الكابوس.

فما بالك بكابوس يترك أثاره على جسدك؟

فما بالك بكابوس يدفعك لخوض غمار مغامرة كريهة تحمل رائحة الشر المطلق؟

فما بالك بكابوس يغيرك حتى لم تعد تعرف من أنت؟

هذا هو كابوسي الذي هدم أركان حياتي، وأحال ليلها نهارًا، وجعلني أخشى النوم كخشية الموت ذاته.

ها أنا استطرد خارج الموضوع ليس كعادتي هذه المرة، ولكن لخشيتي الاقتراب من تلك الذكرى المريرة لذلك الكابوس المفزع.

وأني اتسأل هل يجدي تهربي؟

هل خوفي من الاقتراب لتلك البقعة المظلمة في ذاكرتي سيظل للأبد؟

لقد أخبرني طبيبي الخاص أن الكتابة عن هذا الامر هي أحد العلاجات الفعالة لتجاوز تلك الأزمة، وكان صارمًا في ذلك.

يبدو أنه لا مفر من ذكر ما حدث.

هيا يا عزيزتي تجاوزي فزعك.. ألتقطي نفسًا عميقًا.. وهيا لنبدأ. كأننا لم نكتب عن ذلك منذ سطور.

انعم الله على البشر بنعمة النسيان، والتي يبدو أنه معطلة عندي هذه الايام. ربما كان ذلك راجع لمقدار الرعب الذي شاهدته جعلها محفورة في خلاياي المخية الرمادية.

٢

منذ شهرين كانت الساعة تجاوزت الرابعة صباحًا. انهيت صلاة الفجر، وتوجهت إلى الفراش. لحظات وبدأت في السقوط السريع لمرحلة الاحلام.

وجدتني فيما يرى النائم غافية مستلقية على فراش ما، وعلى غفلة اقترب مني شخص ما وجهه مخفي في الظل. كان يقترب ببطء كأنه ظل يزحف على الجدار. الغريب أني شاهدته يسبح تجاهي، لم أشعر بالخوف حينها بل مجرد فضول.

ترى ما ماهية هذا الكيان السابح في فضاء حلمي؟

أجل كنت أعلم أنه مجرد حلم. لذلك غلبني الفضول لأعرف ما هو. لم أفكر في تحليل الأماكن والموجودات من حولي. أنه مجرد حلم عادي، ولكن سؤال ظل يؤرقني.

ما هو هذا الكيان الزاحف على الحائط؟

ولما يسير بهذه الطريقة؟

أقترب حتى وصل لمخروط الضوء في الحلم ليظهر رجل ستيني أشيب مألوف الوجه. ما أن رأيته حتى شعرت بالطمأنينة التي لا أدري لما شعرت بها، وتناسيت سؤالي عن طريقة حركته. لحظات وأصبح فوقي تمامًا، ولكنه يقف خلف ظهري. لا أعرف كيف رأيته، لتظهر مرآة أمامي يرتسم عليها انعكاس صورته، ثم هجم عليَّ واضعًا كلتا يديه على أضلعي اليمني، ويضغط بقسوة.

احساس بشع، وآلام مبرحة. عظامي تكسر تحت وطئة ضغطه الكاسح. أشعر بصرخات نفسي تردد في جوفي فزعة.

لا تستطيع أن تخرج من فمي. جسدي متخشب يمثل النوم، وهو يتعمد زيادة الضغط على أضلعي. الآلام تجتاحني في الواقع. احاول الاستيقاظ، ولكني لا استطيع. ليس بي قدرة على ذلك. أني أزحف تحت وزن كفيه الذي يماثل وزن جبل من الحديد يرتكز على أضلعي. اشعر ببعض الموجودات من حولي. لساني يردد الذكر، ولكنه لم يخفف ضغطه ولو شعرة. دب الفزع في قلبي.

كيف لأي كيان مظلم أن لا يخشى من ذكر الله؟

هذا يعني أنه لا يريد إيذائي.. أليس كذلك؟

لا أظن أن هناك تفسير أخر.

لكن ضلوعي تكسر. لا أحتمل أكثر. بدأت بالزحف شديد البطء حتى أن أكسل سلحفاة في العالم، وأطولها عمرًا، وذات قدم مكسورة لو سابقتني لفازت باكتساح.

٣

زحف مؤلم طويل. أرى أنوار تغمر غرفة بها أهلي. أشد من همتي حبلًا أزحف ممسكة به. ضغطه لا ينتهي، وأنا أزحف ولساني يردد الذكر، حتى سقط عليَّ أضواء الغرفة بدلًا من الممشى أمام الغرفة. أنتبه أهلي فركضوا نحوي.

رفع والدي يديه عني، وسأله: ماذا تريد منها؟

وكانت أجابته من أغرب ما يكون.

كان يتحدث بلا صوت، ولكني أسمعه بوضوح: أني بحاجة إلى مساعدتها.

سأله أبي باهتمام: فيما تساعدك؟

أجابه دون أن يحرك شفتيه: أن تجد من قتلني.

فزعت، وانتفضت، فزادت آلامي، وتملكني الرعب الشديد.

يا ربي الرحيم.. أنه شبح قتيل، والكارثة أنه يريد مساعدتي أنا.

ولما وقع عليَّ الاختيار؟

ما علاقتي أنا بالقتيل؟

أجل شكله مألوف، لكن هذا لا يعني أني أعرفه.

ماذا أفعل؟

آلامي تمزق كياني، ولكن هذا لا يقارن بخوف من هذا الشبح.

تجاوز أبي الموقف سريعًا، حيث سأله مستنكرًا: وهل من يريد مساعدة يؤذي من ينشد منه المساعدة؟

استنكر الشبح أنه أذاني، وسألني متعجبًا: هل أذيتك حقًا؟

ألجمني رعبي، فلم أجبه. نظر لي بقوة، وطلب مني مرافقته. لم أمتلك القدرة على القبول أو الرفض. فذهبت معه، وخلاياي تئن من الألم المبرح دون أن أنبس بشفه، وأمسك ضلوعي اليمنى.

كان يطير خلفي متأخر عني بخطوة متخفي عن الجميع حتى يحسبني الرائي أني أسير بمفردي، وعندما يجدني أحدث أحد، أو أمشي ببطء من قسوة الألم يمسك بأضلعى المكسورة ضاغطً عليها حتى أتحرك معه بسرعة.

ظللنا هكذا حتى ذهبنا إلى مطعم، فتظاهرت بأني أريد شراء وجبة، وانتظرت في الصف الطويل المنتظر، وأخذت أتابع المطعم، وما يدور من حولي، فوجدت من التصرفات ما يحير الرائي. أن معاملاتهم غير طبيعية، كما أن لسانهم بذئ. قبل أن اتبين ما يدور ضغط الشبح على أضلعي بقسوة، وسحبني إلى مكان ما لا يراه من يدخل المطعم لأول مرة.

على صغر حجم المطعم، وكثرة رواده التي تشعرك بالاختناق. كان الجميع يعمل بحماس مبالغ فيه حتى ذلك المكان الخفي. على يسار المدخل هناك باب مكون من جزئين من الخشب المعشق. دخلنا منه لنجد غرفة فسيحة جدًا ممتلئة بالمكاتب التي قللت من حجم الغرفة بشدة. قادني بضغط من يده الكاسح على أضلعي اليمني التي مزقت أحشائي ليوصلني إلى مكتب مهجور عليه أوراق مبعثرة، ومصباح للإضاءة المكتبية.

جلست على المكتب لأتأمل المكان، وأتابع الجالسين من حولي المنشغلين بالحديث. كانوا يتصرفون كأنهم لا يروني، فأحدهم يواليني ظهره جالسًا على سطح مكتبه متحدثًا في الهاتف. شعرت بالسعادة لأني خفية عنهم. نظرت إلى وجه الشبح استأذنه في أشارات أن أفتش في الأدراج، فهز رأسه علامة إيجاب.

بيد متماسكة وجسورة بدأت البحث المحموم. أخرج كل ما في جوف المكتب من أوراق. أمرر عليها عيني باحثة عن أي علامة تفيد بحثي دون جدوي. انهيت البحث ونظرت إلى الشبح بغضب من كل ما يدور.

ما الداعي في أن يعذبني، ويكسر أضلعي؟

يبغي مساعدتي. عن أي مساعدة يتحدث؟

لقد قادني إلى هنا دون هدف واضح

أقضى الكثير من الوقت في البحث بتلك الأوراق دون جدوي.

أحبس صرخاتي في حلقي متألمة غاضبة خوفًا من بطشه.

يا لها من مشاعر متداخلة متضاربة تجتاحني!

أشار لي أن أنظر إلى يميني. ألتفت إلى حيث أشار، فإذا بسيدة ذات منظر ملفت. ملابسها مبهرجة، ووجهها ملطخ بالأصباغ. ما أن دققت في ملامحها حتى تملكني الفزع، واستيقظت مرتعبة متوجعة.

٤

هل أنا مستيقظة الآن؟

لا أظن. أضلعي تأن كأنها كسرت.

هل لازلت نائمة؟

لا أعتقد، فلا رؤية على الأطلاق.

أين أنا بالضبط؟

عالقة بين نوم ويقظة. هناك همسة من الشبح لا أميزها.

يا ربي الرحيم أنقذني!

فتحت عيني بسرعة لا تتناسب مع شخص يستيقظ من نومه. حاولت أن أعي الموجودات من حولي. أنا مستلقية على فراشي لساني يردد التسابيح بتلقائية. ألم كاسح في خاصرتي وضلوعي اليمنى. لا استطيع النهوض، ولكني بحاجة لأن أذهب إلى أبي. زحفت لمدة عشر دقائق.

يا للعجب فراش بعرض المتر أحتل ربعه أزحف لعشر دقائق حتى أصل لطرفه لأنهض. في وقت أخر كنت لأعجب، ولكن ألام ضلوعي تجعل زحفي عملية شديدة القسوة، حتى أن تسلق قمة أفرست أكثر سهولة. تحاملت على نفسي بصعوبة بالغة لأقف، غير أن الألم لم يترك لي فرصة لأسكاته، فصرخ بشهقة عميقة طويلة.

وقفت لعشر دقائق أخرى احاول تمالك نفسي، غير أن عملية التنفس ذاتها أصبحت شاقة. تمرينات نفس بطيئة خففت من حدة الألم. أمسكت بأضلعي أطمئن أنها في مكانها

لم تكسر. ولله الحمد كانت سليمة. تحركت ببطء شديد يجعلني أخسر سباق مع سلحفاة مصابة بكسر في الأرجل. اسير خطوة واتوقف لأنظم أنفاسي اللاهثة.

ها هي ذا أمي. أنادي عليها، فتأتني متعجلة فالوقت لا يحتمل كلام فجميعنا ذاهب إلى العمل. نظرة منها إليَّ جعلتها تسأل ما بي بقلق. قصصت عليها كابوسي. تغيرت نظرات أمي، وشحب وجهها.

سألتها مرعوبة: ماذا هناك؟

ردت بخوف: لقد توفى منذ يومين جارنا الساكن بالطابق الأول.. وقد ذهبنا لعزاء زوجته أمس.

أمتقع وجهي من الرعب.. ترى هل هذا الشبح هو جاري؟، ولكني لم أرى جاري هذا سابقًا أو غيره من الجيران، فأنا لا أختلط بأحد.

أقبل أبي علينا فوجدنا شاحبتي الوجوه. سألنا عن السبب، فقصت والدتي عليه كابوسي. استنكر والدي استنتاجنا، وأخبرني أنها اضغاث أحلام. لم أجادله، وتوجهت إلى دورة المياه لأغتسل، واتوضأ.

وعندما توجهت لصلاة الضحى سمعت صوت أبي المعاتب لأمي على بثها الرعب في نفسي، وتجاوبها مع مخاوفي. انهيت الصلاة فتقدم والداي نحوي، ووضع يده على رأسي وبدأ يتلوا القرآن ويحصني. حلت السكينة بقلبي، ولكن ألآمي لم تسكن. ابتسمت وأنا اتماسك ظاهريًا، ثم ذهبت لأخذ حقيبة يدي وأتوجه إلى عملي.

كانت ألام ضلوعي لا تتوقف حتى أني خشيت أن ضلوعي كسرت. اتصلت بطبيبي الخاص لأستشيره. بهدوء وصبر استمع لي ما يزيد عن الربع ساعة، ثم قال لي: أظن أنه شبح جارك، ولكن يجب أن نتأكد.

سألته ببلاهة: وكيف ذلك؟

رد ساخرًا: تظاهري بأنكِ ذاهبة للعزاء، وابحثي عن صورته.

كان حله منطقيًا، ولكن قلبي كان يرتجف خوفًا من فكرة دخولي شقة جاري المتوفى.

ظننت بادئ الأمر أن خوفي لأن هذا المكان توفيَّ فيه جاري، غير أن قلبي أنبأني أن سبب خوفي شيء أخر غائب عن عقلي الواعي، ولكن مترسخ في عقلي الباطن مثير فزعي.

٥

حاولت تجاهل خوفي، وتناسي الكابوس غير أن ألام ضلوعي لا تسمح بذلك. لا أدري كيف مر عليَّ اليوم، فأنا لم أعي من أنا ألا عند عودة أمي إلى البيت، والتي ركضت نحوي تحتضني. دفنت نفسي في صدرها باحثة عن الأمان، وأنا أكتم شهقات الألم بداخلي حتي لا أرعبها.

أن كان كابوسي مجرد خرافات شخص نائم، لماذا لا ينتهي هذا الألم البشع؟

وأن كان ما شاهدته حقيقة، فلماذا أنا التي جاءها لتساعده؟

ما الذي أملكه يؤهلني لذلك؟

هل هو جاري فعلا؟

أم شخص أخر تعرفه ذاكرة الصور بعقلي، وغائب عن مركز التذكر؟

أخذت الأسئلة تدور، وتتكاثر في رأسي حتى غلبني النوم.

نوم سريع، كأنه سقوط في بئر سوداء عميقة، وأنا خفيفة كشبح طيفي يندفع بأقصى سرعة دون أن يستطيع أن يكبح نفسه، ولكنه مطمئن أنه لن يصاب بسوء. في نهايته وجدت شبح الرجل الغامض، حاولت الهروب منه بالطيران غزير أنه لاحقني ممسكًا بي من خاصرتي، ضاغطًا على أضلعي المكسورة. ضغطة واحدة أوقفت تنفسي، ومزقت داخلي. سكنت مكاني فسحبني بسرعة ناحية اليسار حيث المرأة المبهرجة التي أثارت فزعي، وهمس بصوت قادم من جوف الأرض: أنها قاتلتي... أنها زوجتي

استيقظت بشهقة رعب تبعها سعال قوي لدقيقتين. تمالكت نفسي فوجدتني على فراشي، وحيدة وألام أضلعي لا تحتمل. صدى صوته المجوف، وهو يقول زوجتي لايزال يضغط على طبلة أذني. بكثير من الجهد والألم استعدت القدرة على حواسي، وبدأت في استجواب ذاكرتي المنهكة من الفزع.

أين كنت قبل أن أجد نفسي على فراشي؟

هل صحيح أنني نمت بين ذراعي أمي؟

أين جميع من في البيت؟

ألم يسمعوا شهقتي المريعة؟

هناك شيء خاطئ بالتأكيد.

أنت ذاكرتي من جهد التذكر حتى عادت بي إلى ساعتين خلت عندما عدت باكرًا من عملي، ولم يكن أحد بالمنزل لأنام. ترددت كثيرًا قبل أن أنام خوفًا من عودة الكابوس المرعب. لكن غلبني ونمت، ويبدو أنني استيقظت والكل لم يعد إلى المنزل بعد.

ماذا أفعل حتى يعودوا؟

لا يمكنني أن أنام مطلقًا.

هل أقرأ قليلًا؟

أم أعد طعام الغذاء؟

ولكن أضلعي تؤلمني؟

٦

بينما أنا أجاهد نفسي في القيام بعمل مفيد عادت أمي وأخوتي، فنهضت لاستقبالهم ولكن ببطء شديد. لا يعجله سوى رغبتي في أن أكون معهم بعيدًا عن هذا الشبح الرهيب، الذي تجاوزت قدراته عالم الظلام ليكن له قوة ملموسة في عالمنا المدى.

بينما كنت أساعد أمي في أعداد طعام الغداء. سألتها بشكل عارض عما حدث عندما ذهبت لتقدم واجب العزاء في جارنا المغفور له بإذن الله.

فأجابت أمي، وهي تمسك بالسكين لتقطع البطاطس لشرائح رفيعة: كان أغرب واجب عزاء قمت به.

ثم ألقت بالسكين، ووضعت يدها على رأسها، وهي تكمل متذكرة: عندما دخلت إلى مسكن المرحوم حيث المكان المخصص لسيدات، وجدت الجميع يتحدث كأنها مناسبة عامة. لا صوت لقرآن يتلى، ولا بكاء أحد، ولا همهمات التهدئة المعهودة. فقط ضوضاء الثرثرة العادية.

ألتفتت إليَّ، وأردفت: سألت عن زوجة المتوفى، فوجدت سيدة على وجهها المزين بمساحيق التجميل تتوسط الجميع. تردد بشكل هستيري " يجب أن أترك تلك الشقة.. لا يمكنني أن أعيش فيها لحظة واحدة.... أريد بيعها والسفر للحاق بابني".

أمسكت أمي بالسكين، وعادت لما كانت تفعله، وهي تقول عجب: الغريب أن جميع الموجودات تجاهلنها جميعا إلا

امرأتان ظلتا يهدئن من روعها، ويعداها بأنهما سيساعدنها في بيع الشقة.

سألتها، وهي تعطيني البطاطس المقطعة لأضعها في محلولها الملحي: وكيف مات زوجها يا أمي؟

ردت ببساطة، وهي تسلق المعكرونة: بالفشل الكلوي كما سمعت.

ثم ألتفتت إليَّ، فوجدتني شاحبة الوجه، فظنت أنني لازلت متعبة. أمسكتني من يدي، وسحبتني خارج المطبخ، وهي تقول: هيا أذهبي فاستلقي في فراشك يبدو أنكِ لازلتِ متعبة. هيا.

بخطوات مرتبكة ذهبت نحو غرفتي، وأنا أتسائل ترى هل جرفني خيالي لهذه الدرجة؟

لقد تخيلت جريمة قتل بطلتها الزوجة، ويا لسخرية القدر. لقد مات موتة طبيعية. لا داعي لأزعج نفسي أكثر من ذلك. سأخبر طبيبي بما علمته.

هاتفت طبيبي، وقصصت عليه كابوسي الجديد، وما توصلت إليه من حديثي مع أمي. كان يستمع بصبر كالأب المنصت لطفلته الصغيرة تحكي له مغامراتها الخرقاء. فرغت جعبتي من الحكايات والكلمات، فسكت منتظرة رده.

سألني ببرود مستنكرًا: يا بلهائي الكبيرة ألم يراود عقلك الصغير القليل والقليل جدا من الاستغراب؟، أم أن خوفك من المواجهة جعلك تتقبلين هذه الرواية المفككة؟

أجبته بغضب من نفسي: ربما كانت الثانية

ثم صحت: ولكني لست بلهاء

فسألني بغيظ: وكيف تسمين هذه الهراءات التي تفوهتي بها؟ أنها لا تصدر ألا من بلهاء.

سكت ولم أنبس بحرف، فتمالك نفسه قليلًا، ثم بدأ يشرح كمعلم لمرحلة الروضة يفهم تلميذه المشاغب ما يدور: أعيريني سمعك، وأشحذي عقلك. أن تصرفات تلك الأرملة تدعوا إلى العجب العجاب، فهي تحضر العزاء متبرجة، تحاول بيع شقتها، وهي لازالت بالعدة. لم تظهر أي علامة حزن لفقد زوجها. لم تعد مكان العزاء بالشكل المتعارف عليه، فلا ترتيل قرآن، ولا أحترام للمتوفى.

ثم سأل بضيق: هل فهمتي ما أعنيه؟

همست بأجل، ثم سألته: هذا يعنى أن أدعائها بأن سبب وفاته هو الفشل الكلوي ربما كان باطلًا؟

قال ببرود: أحتمال وارد، وهذا يستلزم أن ترينها وترى صورة المتوفى لنتأكد من شكوكنا.

أزدردت لعابي، وأنهيت المحادثة دون أن أضيف حرفًا أخر.

٧

في المساء أرتديت أكثر ملابسي رسمية، وأغمقها لونًا، وكانت تلك عملية شاقة لأبعد الحدود، لأنني لازلت أتألم من أوجاع أضلعي التي تقلل حركتي، كما أني أحب الألوان الزاهية، والملابس البسيطة. بعد ساعة كنت أرتدي بذة مكونة من بنطال كحلي، وجاكت أزرق، وبلوز وحجاب نيلي. لا أظنه زي مناسب للعزاء، ولكن ما باليد حيلة هذا المتوفر حاليًا. أصررت على أن تأتي معي أمي، والتي كانت تريد الرفض، ولكنها قبلت في النهاية. كانت مبررات أمي للرفض غير مترابطة، ولكني فهمت أنها تخشى تلك الأرملة.

بخطوات بطيئة يملأها التردد وصلنا إلى شقة المتوفى. طرقات قصيرة جدا من يد أمي على الباب، تبعها فتح الباب لأجد تلك السيدة التي أرعبتني في أحلامي تقف أمامي كما كانت تقف أخر مرة في كابوسي النهاري.

دائمًا ما يفضحني وجهي، فهو كالمرآة يعكس كل ما بداخلي مما يضعني في مواقف كارثية كالآن. آيات الفزع المنعكسة من روحي المرتعبة مرتسمة على ملامحي التي رأيتها تشتعل في عيني تلك الارملة.

حاولت تمالك أعصابي، وبصوت مرتعش قلت: البقاء لله.

ابتسمت مفسحة لنا الباب لندخل. ادخلتنا مشيرة إلى الردهة حيث الأرائك. ابتسمنا بمعنى من بعدك. أغلقت الباب وتقدمتنا حيث أشارت. ببطء كالمسجون يسير لينفذ فيه حكم الإعدام. متلفتة أستنجد بالأثاث، بالذكريات العالقة بالجو، بشبح ذلك

الرجل ليدلني هل هو حقًا؟، أم هي هلاوس اجتاحت عقلي المجهد؟.

لا يمكن أن يكون هذا منزل لشخص متوفي حديثًا. الأزهار في كل مكان، موسيقي كلاسيكية تصدح من جهاز حاسوب موضوع على المنضدة. الأثاث معطر بروائح طبيعية، البخور موضوع على حافة النافذة. لقد عطرت المكان حتى نفد الأكسجين ذاته، فشعور الاختناق يلازم الرئة حتى لتشعر أن هناك ضغط على الحويصلات الهوائية لتنكمش على ذاتها.

حاولت التنفس ببطء وعمق، متحاشية النظر لجارتنا التي كانت أكثر تناقض من بيتها، فهي ترتدي بذة من الجينز تظنها تصغرها بأربع درجات على المقياس. تضع من مساحيق التجميل ما يجعلك تظنها ذاهبة إلى حفلة عرس، وشعرها مصفف بعناية على أحدث الصيحات كأنها قادمة توًا من صالون التجميل. بيدها سيجار مشتعل.

كانت أمي تحدثها بما لم انتبه له، ولكن أظنها تقوم بواجب التعارف الطبيعي. كانت أسير خلف أمي وجارتنا، وأنا أتلمس ما حولي بنظراتي المتفحصة المتوجسة. فجأة شعرت بطيف يسير خلفي، وبضغطة قوية على أضلعي المتألمة. كتمت شهقة الألم بصدري.

همسات في أذني اليمنى أن ألتفتي يسارًا إلى حائط الردهة القصي. ألتفت ببطء فوجدت صورة الشبح معلقة على الجدار مزينة بشريط أسود من الستان الناعم كعلامة يتيمة وجدتها في هذا المنزل تدل على وجود شخص مات حديثًا.

تسمرت قدماي، وتعلقت عيناي بالصورة. انتبهت السيدة، وقالت بصوت مرح: أنه زوجي المتوفي.

ألتفت لها مستنكرة، فأردفت: أني لأظنك متعجبة.

قولت بمحتدة قوة: أجل فمظاهر الفرح تتجلى في كل شيء هنا ما يتنافى مع حادث وفاة شخص يظن أنه عزيز عليكِ.

ابتسمت مشيرة لمقد بجوارها، ثم التقطت نفس عميق من سيجارتها، وكتمته للحظة لتخرجه من أنفها وفمها على هيئة دفعات، ثم ألتفتت نحوي وقالت: أجل أنا فرحة لموته.

ثم سألتني بلا مبالاة: هل تردين أن تعرفي السبب؟

هززت رأسي إيجابًا، وقد جف حلقي من الانفعال.

٨

عادت لسيجارتها تمتصها بشراهة لا تدخنها، كنت أشعر بتوترها مع أنفاسها المتلاحقة. لم أحاول أن أستعجلها حتى لا تعزف عن الحديث مطلقًا. ثلاث دقائق يشق جدار الصمت دخان سيجارتها، وصوت أنفاسها العالي، ثم أخيرًا أن قررت سيجارتها أن دقائقها بين يدي صاحبتها قد انتهت، فلفظت أنفاسها الأخيرة بين أصبعيها الوسطى والسبابة، تاركة أخر احتراق لها يودع جلدها الناعم. انتبهت فزعة، وتركت بقايا سيجارتها في المنفضة الأنيقة الموضوعة أمامها، ثم ألتفتت نحوي، فوجدتني انتظر ردها بلهفة.

ابتسمت بسخرية من جانب فمها لتظهر علامة على خدها الأيسر لم تفلح مساحيق التبرج في إخفائها، ثم قالت: يبدو عليكِ اللهفة الشديدة، وكأنك ستلهميننني لتعرفي لما أنا فرحة لموت زوجي.

فزعت لقولها. ألهذه الدرجة أمعن وجهي في عكس ما بداخلي؟. تمالكت نفسي، ثم أعدت ترتيب ملامح وجهي لإجيبها: أنه العجب مما يدور أنبت اللهفة في قلبي لمعرفة السبب وراء كل هذا.

ضحكت بمرارة، ثم قالت بنزق: فرحت لأنه كان يعذب في مرضه الأخير. لقد كان الموت راحة له ولنا جميعًا.

حان دوري لأضحك من قولها هذه المرة بسخربة أثارت حفيظتها، ثم قولت: لا أظنك تصدقين ما تقولين. أنكِ تمزحين بالطبع.

غضبت جارتنا، ووقفت إذانًا بانتهاء المقابلة، وهي تقول: الدوام لله وحده. سعيكم مشكور، وذنبكم مغفور.

شعرت أمي ببوادر التمرد في نفسي، فأمسكت يدي تشدني ورائها، وهي تمتم لجارتنا معتذرة. مرت عيني على صورة المتوفى، ووقفت أمامه للحظة ناظرة لعينيه، وبداخلي أقسم له بأني لن أترك حقه، وسأقتص من قاتله. شعرت بضغطة يده على ضلوعي خفيفة هذه المرة. كأنه يخبرني بأنه استمع لقسمي. جذبتني أمي بقوة حتى تركنا المنزل، لتغلق جارتنا الباب خلفنا بعنف.

ظلت أمي تسحبني حتى صعدنا إلى بيتنا. ما أن دخلنا من الباب حتى تنفست أمي لصعداء، ثم تحول وجهها فجأة من شدة غضبها إلى اللون الاحمر وهي تصرخ بي: هل جننتني؟. هل هذا واجب العزاء الذي أصررت على أن أصحبك لتأديته؟. ما الدافع وراء تصرفاتك الخرقاء تلك؟ أخبريني

قدم أبي، وأخوتي على صوت صرخات أمي، ووقفوا في صمت يتابعون المشهد.

قلت لها بيأس: أنها تكذب يا أمي. أنا على يقين بأن زوجها لم يمت موتة طبيعية. يبدو أنها قتلته.

نهرتني أمي بعنف قائلة: كفاك اتهامات بلا أساس من الصحة. هذا ليس فلمًا بوليسيًا. أذهبي إلى غرفتك وأنسي أمر جيراننا إلى الأبد.

أشار لي أبي بأن أذهب إلى غرفتي دون كلمة، ومن أخوتي من اللحاق بي.

تركتهم غاضبة لأغلق باب غرفتي ورائي. عشر دقائق من الغضب المكتوم، ثم اتصلت بطبيبي لأطلعه على المستجدات.

٩

عند الجرس الثالث للهاتف رد طبيبي بهدوء، على الرغم من رغبته الحميمة في معرفة ماذا حدث معي، وهل أنا بخير؟، ألا أنه أعتاد أن يكون هادئًا معي أولًا. في جمل محمومة السرعة، تسابق بعضها قصصت عليه ما دار في منزل الأرملة.

قال طبيبي بتعجب: هل واجتها حقًا؟. من أين واتكِ تلك الشجاعة؟

قلت له بحزن: هل تهزأ مني؟

ضحك، وقال بمرح: بالطبع لا، ولكني لم أتخيل أنكِ ستواجهينها. لقد كشفتي وجهك سريعًا.

قلت بنكد: هذا غير هام الآن.

سألني باهتمام: وما هو الهام برأيك؟

أجبته بحيرة: الخطوة التالية. ما الذي يجب عليَّ فعله؟

لعشر دقائق من المناقشات التي اسفرت عن لا شيء. ارتفعت طرقات حازمة على باب غرفتي. انهيت المحادثة، وذهبت لفتح الباب، فإذا بأبي يريد أن يحدثني. تنحيت عن الباب مفسحة له ليدخل. بخطوات رزينة أحبها لما تشع في نفسي الأمان دخل أبي، ثم جلس على فراشي، وقال بمرح: يبدو أنكِ لازلت بملابسك؟. تعالي وأجلسي بجواري، وقصِ عليَّ ما حدث.

جلست حيث أشار، وسردت عليه كل ما كتبته سابقًا. كنت خائفة من أن يهزأ بي ألا أن أبي كالعادة احتواني، وأهتم بما قولته حيث قال: معكِ حق أن تلك السيدة تتصرف بطريقة شاذة. كما أظن أنها تخفي سرًا.

سألته باهتمام: ماذا سنفعل يا أبي؟

رد ببساطة: لن نفعل شيئًا.

ارتسم الاحباط على محياي، فأكمل: سنتركها لتأتي برد فعل لمواجهتك معها.

رفعت عيني وأنا أسأل: وأن لم تفعل شيء؟

اجاب بهدوء: لن نفعل شيء.

وأكمل مسرعًا قبل أن يعود الاحباط لنفسي: ستأتي بردة فعل حتمًا.

ثم أمسك بيدي يوقفني، وهو يقول: هيا يا فتاتي الحلوة بدلي ملابسك، وهيا لنتناول طعام العشاء سويًا.

ابتسمت، وسألته بحب: ماذا تحب أن تأكل؟

قبل جبيني، وهو يقول: أبدلي ملابسك، والحقي بي في المطبخ لنعد العشاء سويًا.

في صبيحة اليوم التالي خرجت من شقتنا باكرًا لألحق بعملي، وعندما انهيت الدرج وجدتني أمام حارس العقار الذي لا يرى ألا في المناسبات كنوع من أثبات التواجد ليس ألا، فلا نقوم باستبداله. ألقى عليَّ تحية الصباح، وسألني أن كنت بحاجته في شيء ما. شكرته وأنا مندفعة في طريقي، وأنا

متعجبة منه أننا لا نراه ألا عندما يأتي لتأجير أو بيع شقة ما في بنايتنا. عند هذه النقطة تسمرت في مكاني، ثم عدت مسرعة لأبحث عنه لأسأله. وجته يخرج من شقة تلك الأرملة، إذن حدثي في محله، لقد أرسلت له ليبيع لها شقتها.

ناديته، فأقبل مسرعًا، وهو يقول بفرح: دائما ما أستبشر بصباحك أنستي.

ابتسم وسألته: يبدو أنه عمل جديد.

ضحك بفرح حقيقي، ثم قال: أجل فتلك السيدة القاطنة بالدور الأول، والتي توفي زوجها منذ أيام تطلب مني البحث عن مشتري. يا له من حظ.

سألته باهتمام لم استطع أخفاءه: ماذا تعني؟

قال بعجب: هذه الشقة قمت بتأجيرها للعديد من الناس لم يزد عمر قاطنها عن الستة أشهر حتى مل صاحبها، وطلب مني بيعها، وقد قمت ببيعها لزوج الأرملة صاحب سلسلة مطاعم منتشرة في مدينتنا، ولم يدم عيشه في هذه الشقة الستة أشهر. يبدو أن بهذه الشقة قوة خفية سوداء.

فأكملت هازئة: تطرد كل ساكن بعد ستة أشهر.

بدأ يبسمل، ويحوقل متلفتًا حوله كأنه يخشي عدو مجهول خفي، ثم قال وهو يركض من أمامي: ارجوكِ أنستي لا تسخري منهم. سامحوها يا سادتي. أنا لا أؤيدها.

ثواني معدودة وأختفي من أمامي، نزل أبي الدرج فوجدني متسمرة مكاني، فنادى عليَّ، والعجب يملأه من وقوفي بمدخل البناية بلا هدف. ابتسمت، ثم مددت يدي له، فامسكها، وأنا

أقول: أنها قصة شيقة تستدعي أن توصلني بطريقك وأنا أحكيها.

ضحك أبي، وهو يقول: هيا يا فتاتي.

ضحكنا بخفة، ثم ذهبنا لنستقل سيارتنا ليوصلني أبي.

١٠

ما أن دلفت إلى مكتبي حتى اتصلت بطبيبي لأقص عليه ما دار بيني وبين حارس العقار. في خمس دقائق اوجزت ما كان، ثم صمت منتظرة الرد لكنه ظل صامت لدقيقتين حتى أني ظننته لم يسمعني، فناديته.

رد بسخط: هلا تركتني أفكر قليلًا فقط. يا لكِ من فتاة ثرثارة. أذهبي لعملك ولنتحدث في المساء.

اغلقت سماعة الهاتف، وأنا ساخطة بشدة، غير أن ذلك الشعور لم يدم طويلًا، فلقد أخذتني دوامة العمل.

في استراحة الصلاة اتصل طبيبي، واستفتح محادثته قائلًا: هل أديتي صلاة الظهر؟

أجبته بنعم في نبرة غاضبة. ضحك بشدة، ثم قال: نحِ غضبك جانبًا، وهيا بنا لما حدثتني عنه صباحًا.

لم أجبه، فأكمل بهدوء: أن ما أخبرك به البواب في غاية الأهمية، ويحتاج لأن نفكر فيما قاله بتمعن.

لم أعلق، فأردف: انظري هذا البواب ربما كان على علم ببعض المعلومات عن تلك الأرملة وزوجها الراحل.

ثم صمت، فقلت متلهفة ناسية غضبي: هذا ما فكرت به، وماذا أيضًا؟

ضحك بمرح، ثم أجاب: هناك احتمالين متساويين بالنسبة لعدم مكوث اي ساكن أكثر من ستة أشهر.

سألته متجاهلة ضحكته التي ذكرتني بغضبي: وما هما؟

أجاب بهدوء: أما أنها على علم بذلك قبل شراءها للشقة، واستغلت ذلك في الترويج بأنها مشئومة، ولذلك توفى زوجها. أو أنها لم تكن تعلم ووجدت في هذه المعلومة طوق نجاة لأثارة الأقاويل عن الشقة لتنفي عن نفسها أي شبهة.

قلت ببساطة مثيرة سخطه: النتيجة واحدة.

رد بضيق: بالطبع لا يا عبقرية، فأما أنها رتبت للجريمة من قبل شراءها للشقة، أو أنها علمت المعلومة فاستغلتها لقتله.

سألته: أنت معي بأنها قتلته إذن. أم أنها يمكن أن تكون مظلومة؟

أجاب بسخط شديد: لا أظنها بريئة تمامًا. هذا يستلزم استجواب البواب لمعرفة كل ما في نفسه.

سألته بتجهم: وكيف ذلك؟

سكت لدقيقة، ثم أجاب: تظاهري بأنكِ تعرفين شخص ما يريد شراء الشقة، واستغلي ذلك في معرفة التفاصيل التي نبحث عنها.

سألته بضيق: وأن لم أوفق في ذلك؟

أجاب بنفاذ صبر: اعطيه رقم هاتفي كأنه أنا المشتري، وأتركيه لي.

١١

يا له من يوم عمل شاق لا ينتهي. لقد تجاوزت الساعة الخامسة مساءًا، ولم انتهي من عملي على خلاف العادة، فأنا انهى عملي في الثالثة عصرًا، ولكن اتصال من صاحب العمل لمديري بأنه قادم لمتابعة سير العمل، والتأكد من الانتهاء من عملية ما لم نشرع في البدأ فيها، حولتنا إلى آلات تعمل بلا توقف، أللهم إلا وقت الصلاة. ارسلت رسالة إلى أبي أخبره بالوضع حتى لا يقلق.

في تمام السادسة مساءًا جائني اتصال هاتفي من رقم مجهول. بطبيعة الحال تجاهلته، غير أنه ألح في الاتصال بي. اضطرت لأن اجعل هاتفي الجوال على الوضع الصامت بعد نظرة قاسية من مديري. دقت الساعة السابعة، وأنا أغادر عملي. أخرجت هاتفي لأخبر أبي بأنني متوجهة للمنزل. فاجئني الرقم الغريب باتصاله فوق الخمسين مرة. شعرت بالقلق الرهيب، ولكني لم أجرؤ على أعادة الاتصال به لأعرف ماذا يريد.

ركبت الحافلة، فإذا برنين الهاتف متقطع بيدي ينذر بوصول رسالة. فتحتها ليصدمني ما بها. أعدت قراءتها عشر مرات في محاولة لاستعاب ما كتب. أنها من ذاك الرقم المجهول، وكانت تخبرني بوفاة طبيبي الخاص منتحرًا.

لا يمكن أن يكن ذلك حقيقة؟

هذا تدليس وخداع.

أنه رقم كاذب محتال. لا يمكن أن يموت طبيبي بهذه السهولة. اتصلت بطبيبي، فإذا بهاتفه مغلق. شعرت بالقلق ينهش قلبي. اعدت الاتصال بالرقم المجهول، لتجيبني رسلة مسجلة لأحدي المشافي الخاصة بالأمراض النفسية والعقلية. اغلقت هاتفي مرتعبة. هناك شيء خاطئ في هذا الموضوع.

عدت إلي المنزل لا أعرف كيف سرت في الطريق دون حادثة ما، فعقلي كان في دوامة من الخوف والحيرة من تلك الرسالة العجيبة.

هل توفي أم تلك كذبة رديئة؟

هل حقا توفي منتحرًا؟

وأن كان مات منتحرًا، فما السبب؟

وما علاقة هذه المشفى به؟

وأن كان توفي لغير ذلك من الأسباب، هل مات مقتولًا؟

وأن مات مقتولًا، فمت قتله؟

وما السبب الذي دفع القتلة لارتكاب جريمتهم النكراء؟

هل لهم علاقة بتلك الارملة؟

وأن كانت بينهم، فما الدافع لقتلهم الطبيب؟

وأن كان مات موتة طبيعية، فما الدافع الذي جعل راسل الرسالة ليزيف موته؟

وأن كانت تلك الرسالة كذبة، فما الدافع لها؟

وما الهدف المرجو من تلك الكذبة؟

وأن كان على قيد الحياة لماذا يغلق هاتفه؟

فتح والدي باب شقتنا، فألقيت عليه التحية بآلية، وتوجهت إلى غرفتي.

سألني أبي بحنان: هل تناولتِ طعام الغداء؟

ابتسمت بوهن، وأجبته كاذبة بنعم، ثم استأذنته لأستريح في غرفتي بعد أن أخبرته بأن يوم غد إجازة لي ولكل من تأخر اليوم.

دخلت غرفتي ألوم نفسي لكذبتي تلك، ولكن كيف أخبره بموت طبيبي الذي لم يسمع به من قبل.

١٢

على جمار القلق، واحتمالاته كنت اتقلب في فراشي. امسك بهاتفي بيد مرتعشة. احاول الاتصال به، فأجد هاتفه مغلق، وعلى الرغم من تأكدي أنه سيظل مغلق لم استطع ترك الهاتف، فالامل يحدوني في اتصال منه، أو رسالة تكذب موته.

بدأ الوهن يصب روحي كما أصاب جسدي المكدود، وبدأ التعب يستنجد بالنوم الذي لبى نداءاته، ليزحف ببطء كتمساح يتربص بفريسته. ما أن تمكن من جسدي حتى انطلق صوب مخي ليطفئ أنوار التفكير في خلاياه، فيحل الظلام الدامس لأسقط في نوم عميق يشبه الغيبوبة.

ممر شديد الطول، ذو ارتفاع منخفض، ضيق حتى لتظن أن جدرانه تميل على بعضها في سلام عجيب. أقف في منتصف الممر المظلم لا أدري لما أنا هنا. ألم كاسح في أضلعي اليمنى، أنه هو لقد عاد. صار يقودني إلى نهاية الممر ، أو هكذا ظننت فلا معنى للنهاية والبداية في هذا المكان. صوت ما أعرفه يتردد في الاتجاه المضاد لحركتنا. توقفت انصت له، لقد عرفته أنه صوت طبيبي.

ضغط على اضلعى هذا الطيف ليسحبني في التجاه الذي يريد. تحركت ببطء كما يريد، فارتفع الصوت وأصبح مخيفًا يأمرني بأن اترك هذا الطريق الذي اسير فيه. رعب حقيقي ملأ قلبي جعلنى انتفض متزامن مع الصراخ والضغط الكاسح على أضلعي لأجد قدماي تسير برفقة الطيف. خطوات بسيطة لأجد بصيص ضوء في نهاية الممر ، وبسمة من الطيف قبل رجعوه إلى حيث الصوت الذي أراد اللحاق بنا ليخرسه.

صوت نقرات متقطعة يخترق حاجز النوم، لأستيقظ من نومى فزعة. هاتفي بيدي يرسل أشارات استقبال رسائل. خمس رسائل بالتحديد تحمل رقم هاتف طبيبي. أربعة منها تحمل ذات الرسالة (هذا الهاتف متاح الآن)، والخامسة تحمل تهديد شديد اللهجة. تيبست في مكاني من الرعب عصف بكياني.

لنصف ساعة ظلت الرسائل تنهمر من رقمه دون توقف. كنت اطالعها والذهول يملأ حواسي كلها.

ما كم تلك التهديدات المكتوبة!

وما هذه الرسالة الصوتية الصامتة؟

أن الاستماع لصوت الصمت المطبق لأشد رعبًا من الاستماع لصوت المهدد ذاته. تمالكت اعصابي المضطربة، واستجمعت ما بقي في ذاتي من شجاعة، ثم اتصلت برقمه، وكانت المفاجأة أنه مغلق أعدت المحاولة عدة مرات، ولم أحصل ألا على ذات النتيجة، الهاتف مغلق.

ما معنى هذا؟

هناك من يعبث بي هنا.

هل هو قوة شيطانية؟

أم بشري يتنكر في شكل قوة سوداء؟

لا استطيع أن ارجح أيهما أقرب للحقيقة، ولكني أملك الطريقة لاستكشاف حقيقة الامر. اتصلت بابن خالي الذي يعمل في وزارة الداخلية.

في كلمات وجيزة لخص ما قولته: هناك رقم ما يرسل لكِ رسائل تهديد، وعن أعادة الاتصال به تجدينه مغلق. بسيطة ابعثي لي بهذا الرقم، وانتظري مني اتصال في المساء.

شكرته وانهيت. حاولت تجاهل الأمر، وقد ساعدني عدم ارساله رسائل لي على ذلك. كما أن طرقات قوية على باب الشقة أفزعتني، وانستني أمر الرسائل مؤقتًا.

١٣

فتحت الباب فإذا بالأرملة تقف أمامي، وهي متوترة تسألني أن اسمح لها بالدخول.

ادخلتها على استحياء. بخطوات مترددة لا تعرف طريقها سارت حتى توسطت الردهة، ثم وقفت رافضة أن تتحرك أنش واحد. أشرت لها لتتقدم حيث الاريكة لتجلس، ولكنها رفضت بشدة. لمحت من خلال طبقات مساحيق التجميل أثار خمش أظافر طويلة على خديها، ورقبتها.

سألتها بعصبية لم أردها: أهلًا بكِ. هل من خدمة أقدمها لكِ؟

نظرت لي بغل قائلة: لقد جئت إليكِ زائرة.

ثم سألت بشراسة: أم أني غير مرحب بي هنا؟

حاولت الابتسام إلا أن توتر جعلها مهزوزة كصوتي وأنا أقول: بالطبع لا. مرحبًا بكِ في أي وقت جارتنا العزيزة.

قالت بملل، وهى تمرر أصابعها ذات الأظافر الطويلة المملونة على أماكن الخمش برقبتها: لن أعود كذلك بعد أيام قليلة.

تظاهرت بالعجب، وأنا أسألها: ماذا تعنى يا سيدتي؟

أجابت بلا مبالاة: سأبيع شقتي، وألحق بابني في السعودية.

رديت ببعض كلمات المجاملة المتبعة في تلك المواقف. غير أنها فجأة سألتني بنبرة غريبة أثارت فزعي: أتعلمين لماذا أرحل بتلك السرعة، ولا انتظر انتهاء عدتي؟

أزدردت لعابي، ثم أجبتها: لا أدري حقيقةً.

شعرت بغضبها يشتعل في عينيها. أنها تريد أجابة ما، فقلت لها: ربما لأنك تشعرين بالوحدة ها هنا؟

ضحكت بصوت مخيف، ثم قالت بنبرة خافتة ممتلئة بالشر: كلا بالطبع، ولكن لأن شقتي مسكونة بكيانات مظلمة.

لمحت في عيني نظرة عدم التصديق، فسألتني باهتمام: ألم تنتبهي أن لا أحد يسكن فيها أكثر من ستة أشهر؟

أجبتها بهدوء: ليس لي خلطة بالجيران، فلا أدري عن ذلك شيء.

صرخت كمن تمكن من خصمه قائلة: لا تختلطين بجيرانك، ولكنكِ قمتي بزيارتي.

تنحنحت، وقلت مصححة: بل قمت بتقديم واجب العزاء لكِ في فقيدك رحمه الله. هذا حق الجيرة.

زمت شفتيها غاضبة، فكلامي أمات تدفق الكلمات في فمها. شعرة بلذة النصر لاسكاتها، فابتسمت سائلة: ما الذي جعلك تظنين أن شقتك تسكنها الكيانات المظلمة؟

أجابت بحماس زائد كأنها أعدت تلك المحاضرة من قبل قدومها، يبدو أن هذا سبب زيارتها الحقيقي: بعد أن انتقلنا إلى هنا بدأت بعض التغيرات تظهر على زوجي، فاصبح معتل المزاج، كثير الصراخ، نزق فترة مكوثه بالشقة. ظننت ذلك لبعض مشاكل العمل التي لا علم لي بها. لكن بعد موته أخبرني من غسله أنه وجد كدمات وخدوش على جسده في أماكن لا تصلها يده، ولا يمكن أن يكون فاعلها بشر. حسبته يكذب، فأنا لم أرى يومًا على جسده تلك الأثار. كما أن الطبيب الذي أصدر

تصريح الدفن لم يجد في الجثة ما يريب، ولكن بعد وفاته وجدتني استمع إلى أصوات مرعبة، ولا أجد شيء في موضعه. كما أني أعاني من الكوابيس، وعندما استيقظ أجد أثار خمش في مواضع متفرقة بجسدي. لهذا أريد بيع الشقة لأسافر إلى ابني. لا استطيع أن ابقي ليوم أضافي هنا.

سألتها بشفقة: وهل وجدتي من يشتريها؟. أظن أن علم أحد بما تقولين لن يقبل على شرائها.

صرخت قائلة: وهذه هي مصيبتي. لقد اتصلت بحارس العقار الذي اسندت له مهمة بيعها، فإذا به يخبرني بأنه لا أحد يريد شرائها. لقد أذاع هذا السر في المنطقة، فعزف الجميع عنها.

سألتها مهدئة: هل أنتِ بحاجة إلى هذا المال؟، أم أنكِ تستطيعين السفر بدون الحاجة لبيعها؟

صرخت في وجهي قائلة: أنتِ لا تفهمين شيئًا.

ثم تركتني مغادرة الشقة. تجمدت مكاني من الصدمة. خمس دقائق مرت على عقلي المثلج قبل أن يستعيد حيويته، ويعمل.

١٤

لماذا أتت في هذا الوقت من الصباح؟

أنها تعلم أن أمي بالعمل.

إذن هي أتت لأجلي، ولكن لماذا؟

ما هو الغرض الحقيقي للزيارة؟

ألتملأ عقلي بالخرافات مثل حارس العقار؟

أم أن هناك غرض خفي؟

ولكن ما هو؟

قطع استرسالي في الأسئلة صوت انطلاق عجلات سيارة على الأسفلت. انطلق إلى النافذة كالسهم لأستعلم عن الأمر. فإذابعدد من السيارات تتحرك وراء بعضها محملة بالأثاث خلف سيارة خاصة رباعية الدفع. أنا أعرف تلك السيارة أنها لجارنا المتوفي.

كان يشيع السيارات حارث العقار الذي انتبه لوجودي، فقال بعجب: لقد رحلت تلك الأرملة بعد أن باعت شقتها لطبيب شاب قادم من محافظة بعيدة، ولكني لأعجب كيف عثرت عليه.

عدت إلى الداخل دون أن انبث ببنت شفة، والرعب يأكل خلاياي. ارتفع رنين هاتفلي ليزيد فزعي. تحرك بسرعة والتقطه، فإذا بابن خالي هو المتصل.

بعد كلمات الترحيب المعتادة قال لي بتجهم: هذا الرقم الذي أرسلتيه لي موقوف منذ عامين، فلا يمكن أن يكن هو من أرسل تلك الرسائل.

قتلت المفاجأة كل خلية عاقلة بمخي.

دقيقتين من الصمت الثقيل الممتلئ بالفزع.

يا إلهي هل يراسلني كيان شيطاني؟

أم أن الطبيب هو ذاك الكيان؟

وأن كان هو ذاك الكيان، فما علاقته بالطيف الذي يزورني في كابوسي؟

هل هو هذا الطيف؟

وأن كان هو، فما علاقته بتلك المرأة؟

هل هو زوجها المتوفي؟

لا يمكن، فهو يحدثني منذ تلك الحادثة قبل وفاة جاري؟

قطع عليا أفكاري صوت ابن خالي ينادي عليَّ.

سألته بخوف: كيف كانت تصلني تلك الرسائل، إذا كان الخط موقوف منذ عامين؟

رد ببساطة: يمكن ذلك عن طريق بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية، والتي تسمح بأرسال رسائل من أي رقم لأي رقم.

جف حلقي، فحاولت ترطيبه بأزدراد لعابي، وقلبي ينبض بالأثارة، وأنا أسأله بصوت مشروخ: وهل يمكن أستغلال تلك المواقع أو غيرها في إجراء اتصال؟

ضحك بملئ فيه، ثم قال: كلا بالطبع. لا يوجد حتى الآن.

يا للكارثة.. هذا يعني ...

وقبل أن استغرق في أفكاري، سأل ابن خالي: هل تريدين شيء أخر؟

قلت بلهفة: أجل شيء هام جدًا.

وبدأت أقص عليه واقعة وفاة جارنا، وتصرفات زوجته العجيبة التي جعلتني أشك في أنها قتلته، ولكني أخفيت عنه تفاصيل كابوسي، وزيارات هذا الطيف في منامي.

وعدني بالبحث، والتقصي. كما أنه أخبرني بمروره علينا بالمساء للمزيد من المناقشة.

١٥

أغلقت الهاتف، وجلست القرفصاء على الأرض، واضعة رأسي بين كفيَّ. عقلي عاجز عن التفكير. الرعب يشل خلاياي الرمادية. الفزع يخفي شمس الحقيقة عني بضبابه السميك. الخوف ينهش في داخلي. وعي يغيب، وأدخل في نفق اللاوعي، ليقذفني إلى عالم النوم لأجدني في ساحة جرداء سوداء الأرض والجدران. سماءها ممتلئة بالسحب الرمادية الرعدية.

على ضوء البرق وجدت فجوة سوداء في الجدار الغربي أمامها يقف ذئبين رماديين يتعاركان. وقفت ارتعش لا أدري ماذا أفعل؟. أدور بعيني في المكان بحثًا عن مخرج من هذه الساحة. كان صدري يعلو ويهبط في سرعة من الخوف ليعب الهواء عبًا ليجابه الادرنالين المنتشر في خلاياي. انتبهت الذئبين لوجودي، فتركا خلافهما، واندفعا نحوي.

ركضت لا أعرف وجهتي، وهم ورائي حتي وجدتني أعبر الفجوة لأجدني في نفق دائري ضيق مظلم، عفن الرائحة، ممتلئ بماء أسن حتى منتصفه. حاولت التراجع فسمعت عواء الذئبين، فقررت أخف الضررين، وخضت في المياه الأسنة على أمل أن أجد مخرج من هذا العفن ألا أنني وجدتني وجها لوجه مع تنين أسود اللون، ذو حراشيف رمادية، عينين نارية، رأيت ذلك عندما نفث في النار ليحرقني.

قمت فزعة لأجدني في فراشي أعاني من الحمى، وأمي تمرضني، وقلبها يرجف هلعًا، أما أبي فكان يحدث الصيدلية لأرسال الدواء.

أزحت يد أمي بوهن، وحاولت الأعتدل، لكنها أرادت أن تبقيني مستلقية حتى لا يزيد مرضي. تلفت حولي فوجدت الليل قد أقبل منذ مدة ليست بالقصيرة، فهمست بصوت جاف: هل جاء ابن خالي؟

أجابت أمي سائلة: كلا لم يأتي. هل أخبرك بأنه قادم؟

هززت رأسي إيجابًا. دقيقة فقط، وأرتفع رنين جرس الباب. ذهبت أختي لفتح الباب، فإذا به ابن خالي يحمل دوائي الذي أخذه من الصيدلي. سأل عني، ثم دخل بعد أن اعتدلت وأرتديت حجابي.

ناول أمي الدواء، ولكني رفضت أخذه، وسألته عما توصل إليه في موضوع تلك الأرملة.

تنحنح ابن خالي، وحاول التملص من الإجابة بمساعدة أمي، وأبي غير أني تشبثت بمعرفة ما توصل إليه. خشو عليَّ من الأنفعال، فبدؤا بتهدئتي، أما ابن خالي فقال بحرج: لقد تقصيت عن تلك الأرملة وزوجها المتوفي منذ عشرة أيام. أنها لم تغادر مسكنها على الأطلاق، فهي تقضي عدتها، ولن تلحق بولدها إلا بعد أربعة أشهر.

قاطعته سائلة: هل رأيتها؟، هل قابلتها؟

هز رأسه بالإيجاب، فسألته: صفها لى أرجوك؟

رد بهدوء: سيدة خمسينية ترتدي السواد إلا أن حجابها أبيض.

صرخت قائلة: ليست هي أنها أربعينية متبرجة، ووجهها ورقبتها ممتلئ بالخمش. أليس كذلك يا أمي؟. كنتِ معي عندما طردتني. أخبريه بأن من قابلها هي سيدة أخرى.

حاولت أمي تهدئتي، غير أني وجدت في عينها الأشفاق والرعب. بدأت في الأنهيار.

لا يمكن أن يكن هذا صحيحًا.

أنا لا أتخيل كل تلك الأحداث، والشخوص.

هل أعاني من مرض نفسي ما؟

أم أن هذا من فعل كيانات الظلام التي تلاحقني؟

أين الحقيقة؟

١٦

غرس أبي المحقن في ذراعي، وغبت عن الوعي لأستيقظ في غرفة بسيطة الأثاث فقط فراش ومنضدة ومقعد خشبي، نافذة خشبية مغطاه بستائر رقيقة، ولكن السمة الغالبة على الغرفة هي البياض، فكل ما بها أبيض الجدران، الأرضية، السقف، المفروشات حتى أنا أرتدي الأبيض.

فتح الباب ودخل رجل أربعيني يرتدي البياض، وعوينات له بسمة مشرقة، يحمل بيه حقيبة جلدية. جلس على المقعد في مواجهتي، ثم قال: حمدًا لله على سلامتك. لقد أقلقتنا عليكِ كثيرًا.

لم أسأله عمن قلق عليَّ، فأردف: أنا طبيبك الخاص منذ شهرين.

لم أعلق بحرف، فأكمل: أنكِ تعانين من صدمة شديدة جعلتك عازفة عن الكلام بعد مرض عضوي لخمسة أشهر نتيجة الصدمة. أنتِ قادرة على الكلام. لا سبب يمنعك ألا أنتِ.

أدرت وجهي لأواجه النافذة، فأخرج من حقيبته دفتر كبير، وعدد كبير من الأقلام، ثم توجه إلى الباب، وهو يقول: لا أريد أن أرغمك على الحديث، فهذا شأنك الخاص، ولكن هذا دفتر وأقلام لتكتبي ما تشائين. أن أردتِ أطلاعي عليه فلكِ ذلك.

وها أنا ذا أكتب ما حدث معي منذ كابوسي وحتى الآن.

١٧

-" مرحبًا سيدتي. مرحبًا سيدي. تفضلا بالجلوس"

جلست السيدة المنتحبة بصعوبة، بينما أصر الرجل ألا يجلس. ابتسم الطبيب محاولًا تلطيف الأجواء، ثم قال بهدوء: أعرف مقدار قلقكما على ابنتكما الصغرى. أنها تعاني من صدمة خيانة خاطبها قبل زفافها بأسبوع. لم تحتمل قسوة ما رأت وسمعت.

قالت الأم من بين دموعها: ابنتي الرقيقة الحالمة كم كانت تعشق ذلك الحقير. كانت ترى الدنيا بعينيه. احبته كأنه أول وأخر الرجال. قتلها بفعلته القذرة.

ابتسم الطبيب مشفقًا، ثم قال: ولقد تسبب ذلك في ...

قاطعه الأب سائلًا بفزع: هل هناك كارثة أخرى.

قفزت الأم من مقعدها كالملسوعة سائلة: ماذا تخفي علينا بالله عليك؟

أجاب مهدئًا: لا شيء خطير، ولكنها أختلقت حكاية مفزعة لتعيش فيها. أختلقت شخصية وهمية تتحدث معها، وكيانات مرعبة تطاردها. لقد جذبها عقلها الباطن لمنطقة بعيدة لتجتاز صدمتها في خاطبها، لقد لجأ عقلها لأصطناع تلك الحكاية حتى يجنبها ما لا تستطيع تحمله.

ازدرد لعابه، ثم قال: أن قانون نيوتن الثاني ينص على أن كل فعل له رد فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الإتجاه. هذا ينطبق على العلاقات الإنسانية كذلك إلا في حالات الأرتباط العاطفي الشديد، فأن رد الفعل يكون مناسب لمقدار العاطفة

التي يكنها الشخص للفاعل لا مع الفعل ذاته. كما أن ردت الفعل في أحيان كثيرة لا تكتفي بالتوجه للفاعل بل تمتد للمفعول به، أو لمن حوله، ولربما أصابته بلعنة تجعله يؤلم كل من يقترب عاطفيًا من تلك المكانة التي أحتلها الفاعل.

بكت الأم بصوت مرتفع، وسأل الأب بلوعة: هل في أمل من شفائها؟

أجاب الطبيب: رحمة الله واسعة، وبفضله سيتم الشفاء، ولكني أحتاج لمعاونتكما، وكل من يحبها، ومن له مكانة عندها.

الباب الثاني

الخواطر

يا عزيزى

"هذه الخواطر أشاركها معكم، فكل منكم هذا العزيز الذي أبوح له بمكنونات قلبي دون مواربة، دون خجل، فتبادل الأدوار بيننا وارد، فأنا أبوح بما في قلبك على لساني، وأنت تستمع لها بوجدانك. لذلك لست بحاجة إلى اهداءها لك."

١

لا تقع في عشق كاتبة

يا عزيزي لا تقع في عشق كاتبة، أنها ليست كأي امرأة، فلا تفتنها كلمة حب، ولا تصرعها قصيدة غزل.

أنها تمتلك قاموس الكلمات على رأس قلمها. تغزل كلمات الهوى دواوين. تتبرج بالمعلقات، وتتعطر بعطر الحروف، وتتزين بأبجديتها الخاصة.

ترسم القصص على يديها كالحناء، وتتمنطق بحبكة رواياتها. تستنشق الكلمات لا تسمعها، تشم شذى حروفها المعتقة.

تجد حكاياتها في صفحة ماء تداعبها نسمات الصباح، في شدو عصفور يقف على غصن كافور، في خجل شمس الشتاء، في مناغاة رضيع.

لا تملك مزاجها الخاص، فهي ترتعش لمرأى هريرة تحتمي من أمطار كانون، وتبكي مع طفل لضياع بالونه، وتضحك لبزوغ البدر، تمرح بأناملها مع بتالات الأزهار الفرحة.

تتناول أفطارها على سفوح جبال الألب. تشرب الشاي الأنجليزي في استراليا، و تقطف ثمار الفاكهة من لبنان، وتحمص البن في البرازيل، وتمزج اللبن بالقرفة في هولندا.

لا تقبل بحب تقليدي، فهي تحلم بحب اسطوري. أنها لن ترتدي فستان الزفاف الأبيض، بل كيمونو ياباني منقوش بزهرة

الساكورا مطرز بخيوط من ذهب. لن تتزوجك في قاعة أفراح، ولكن في تاج محل.

أن عشقت كاتبة يا عزيزي، فلا تتحدث في حضرتها، لكن أتركها تغوص في بحار الحب بقلبك، وتستمع لتراتيل عشقك في عينيك.

٢

الجنون

يا عزيزي أنه الجنون يعبث بك، وبكل ما حولك. أجلس هنا معي لنثرثر قليلًا. لا تشغل بالك بما يدور. تراك تعشق الجنون؟، أم أنه يسرق لبك بلا منطقيته المعهودة؟. لست أول من مد يده إليه ليغرقه بدواماته اللا نهائية. دعنا نغلبه للحظات ننتشلها من نهر العمر الجاري بين يديه. لنحيا كالبشر لفتات من الزمن. لنتسأل عن أنفسنا ومن حولنا. ليس مهمًا أن نجد الإجابة، ولكن يكفينا شرف التسائل كالأحياء. سأدير للجنون ظهري حتي لا يخطف ناظري عن مؤانستك بالحديث. أتدري يا عزيزي دائمًا ما عشقت مقعد المشاهدين، أنه يلائمني بشدة. أرى الجميع يطحن بين راحتي الجنون وهو لايدري أي شيء عن أي شيء. فقط يدور كالثور المغمى العينين المربوط في الساقية. يدور بلا بداية أو نهاية. نقش له الجنون روتين حياته اليومي كلًا حسب ما يناسبه. ألا تعلم أنه يبرع في رسم السيناريوهات والروايات المتنوعة التي لا هدف لها سوى ...

ألامَ تنظر يا عزيزي؟. لا تستمع إلى تلك النداءات الوهمية. لا تدعه يعبث بكل خلاياك. قف يا عزيري لا تبرح مكانك بجواري . ألق بناظريك إلى عيني، وأجب عن تساؤلاتي. تري من أنت بالله؟، هل تعرف لك هوية أو ذات؟، هل لازلت على قيد الحياة؟، أم أنت روح مسجونة بين خلايا جسد مهترء من الشجون والأمراض؟. أنت كنت حيًا فماذا تفعل بحياتك؟، وأن كنت ميتًا لما أنت هنا باقي؟.

لا ترحل يا عزيزي قبل أن تجب أنات نفسك المكنونة في أسئلتي. لا تسير كالمجذوب إلى حتفك، وكأن " النداهة" تسحرك ، تزين لك الموت بوهم جنة زائفة.

٣

أنـهم حمقى

لا تندهش يا عزيزي مما يدور حولك. ببساطة أنـهم حفنة من الحمقي تريد أن تضع نفسها في مصاف الصفوة، وهم لا يفقهون شيئًا عن أي شيء خاصة ما يتصدرون له. ستجد هناك بعض البلهاء الذين يصفقون لهم بحماس منقطع النظير لا تتعجب، فهم جهلاء كسولين يطمعون أن يصرون يومًا مكان هؤلاء الحمقى لأنه لا يستلزم لبلوغ تلك المكانة سوى التهليل والتصفيق كسكان الأدغال المتحلقين حول النار يرقصون تمجيدًا لألـههم المزعوم. لا تسأل عن أهل الصفوة أصحاب تلك المكانة الحقيقيون. أنـهم معتزلون في كهوفهم. لا يضعون أنفسهم في حرب مع حمقى وبلهاء. يظنون أنـهم عندما ينئون بأنفسهم عن معارك السفهاء يحافظون على كرامتهم ومكانتهم. ربما يمتلكون الكثير من المنطق في ظننوهم تلك، لكنهم تركوا الساحة ومكانتهم لحفنة من المهرجون والسفهاء ليدمروا الصرح الكبير. وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نلومهم، وهم يفتقدون أهم آلة في هذا العصر التي تمكنهم من كسب المعارك متصدرين مواقعهم دون منازع ألا وهي "البروبجاندا" أو الأعلام، فهم لا يجيدون تقديم أنفسهم، وتنميق صورهم، وأظهار أنفسهم بأنـهم فرسان هذا العصر. أنـهم على سجيدتهم، يعملون بجد وصدق، يستحقون مكانتهم التي تسرق منهم لأجل حفنة من المهرجين. لذلك فأن ترفعهم أوجب حفاظًا على كرامتهم وعملهم.

لا تسألني ما الحل؟، فأنا مثلك لا أدري عنه شيئًا، ولكني قررت أن أجلس كمشاهد ملول يعرف ما سيعرض مستقبلًا، ولكن ليس بيده تغير ما يدور.

- -

٤

في انتظار من لا يأتي

اوه يا عزيزي فلتهدأ قليلًا. لا تدور في دوائر مفرغة ستصاب بالدوار، يكفي فلتسترح لبعض الوقت. ماذا هناك؟

أجل فهمت. يا عزيزي لن يأتي أحد، فلا تنتظر من لا يأتي. لا تغضب هكذا، ولتستمع إليَّ. أجل لن يأتي أحد، فمن يريد القدوم لا يجعلك تأكل عقارب الساعة بعينيك طمعًا في تعجيل الوقت ليأتي. لن يتركك فريسة لمد الأمل وجزر اليأس. لن يبني لك حجرة في قلب جحيم الانتظار. الذي تنتظره لن يجعلك تنتظر أن كان يستحق الانتظار.

ها لقد عندنا لمزحة الظروف. أي ظروف تلك التي تحذفك من قائمة أولوياته. وأي مبررات تجعلك خارج دائرة أهتماماته. لا تدع أحدهم يخدعك بأوهام ليخدرك من ألم الاهمال، والترك، والخذلان. أنه مسكن يجعلك تنتظر دون رغبة في الرحيل.

يا عزيزي كل متأخر لا معني له. الاعتذار المتأخر، التوضيح المتأخر، الأهتمام المتأخر، الحب المتأخر، العودة المتأخرة كلها سخافات لا طائل من ورائها، فهي لن تشفي جروحاتك، ولن ترمم كسرك، ولن تعمر قلبك، أنها كالرماد تذر في العيون. لقد أتينا وأنت لم تقبل بنا، لهذا أنت مخطئ. أختر كرامتك وكبريائك يا عزيزي. وأرحل بهدوء وأترك شاطئ البحر الميت. ولتبدأ قصص جديدة لا يملأ صفحاتها الانتظار.

٥

أنـها رسالة للا أحد

اهلا يا عزيزي.. هلا استرحت قليلًا حتى أنهي رسالتي؟..

تسألني لمن أكتبها؟

أنـها للا أحد. من كل هو الأوحد في قلبي.

تسألني هل سأرسلها؟

أضحكتني يا عزيزي فاللا أحد غير موجود. فقد منذ زمن عندما سرق من عمري سنين، وهرب إلى عالم الأنذال بمحض أختياره. لقد أقمت له ضريحًا في فؤادي. أزوره عندما أتذكر من كان قبل أن يكون. عندما كان لي عاشقًا، قبل أن يكن لي خائنًا. كلا يا عزيزي بالطبع لا أخذ جميع الرجال بجرمه هو، ولكني لم أعد أنا. تلك البريئة ندية القلب، صافية الروح، معتزة النفس ذبحت تحت نصل الخداع والخيانة والأهانة. بعث من رمادها أنا الجديدة، متحجرة القلب، قاسية الروح، محبة لنفسي، لا أهتم لأحد، فالكل سواء. مجرد تماثيل ناطقة تزين حياتي.

تسألني لما أكتب تلك الرسالة؟

أنـها نوع من العلاج.. اشفي بها جروحاتي، وارمم بها ذاتي، أعمر بها أطلال روحي.

ما هذا السؤال يا عزيزي؟ أنك تزعجني كثيرًا.

ألهذه الدرجة تكره كينونتي الجديدة؟

وتسألني متي تنتهي من حياتي؟

أنها كياني الجديد الذي أخترته بل عشقته. أنه سلاحي في مواجهة هؤلاء المجرمين، لصوص المشاعر الخائنين، الجبناء أصحاب شعارات الظروف، المعلنيين العجز والقهر، أنهم ظل أسود يهبط على الحياة فيميتها، وأنا لا أريد أن أموت، ولا أريد أن أحزن، أن أعيش مكسورة، أريد الحياة بعزة وكرامة.

اوه لا داعي لمناقشتي الآن. ها هي ذي رسالتي أمزقها أمامك، ولنترك هذا الموضوع جانبًا

لما أنت واقف يا عزيزي فلتجلس لنحتسي بعض الذكريات المريرة. لنعد للحظات غباءنا اللامحمود. تريدني أن أبدأ. لا بأس يبدو أنك خجل من تلك المشاهد المؤسفة.

تسألني من هو؟

هو ذلك المخادع الأناني المتنكر في ثوب الضحية. هو من ظهر في حياتي كفارس مغوار وسط جحافل الرعاع المنافقين. حارب كثيرًا ليصل إلى قلبي المعزول خلف أسوار الكبرياء حتى ملكه، أعلن حبه ورغبته في تتويجه بالزواج، وعندما قبلت بدأت سلسلة من الأعذار القاسية المظهر، والهاوية الجوهر ليحتفظ بي لنفسه، ولكن دون أن يحارب من أجل ذلك. فقط أرتدي ثوب الضحية، وعلق مسوح العجز، وأغرق فؤادي بدموع كسره. ملأ روحي بالألم لأجله، وهو يخونني بكل جوارحه، فتزوج بأخرى غيري أنا مدعيًا أنه أجبر على ذلك. ومن فرط أنانيته طالبني بأن أظل محبوبته لينعم بالحب والزواج ليدلل ذاته على حساب مشاعري وكبريائي.

أتسألني ماذا فعلت؟

نبذته وأخترت كرامتي وكبريائي. أخترت ذاتي وسعادتي. أخترت ما يليق بي.

تسألني لما لم أصدقه؟

لأنه ببساطة كاذب يا عزيزي، فمن يحب يحارب لأجل محبوبته لا يحارب بها، لا يذلها، لا يؤلمها، لا يؤذيها. الحب ليس للإذاء بل هو جنة الله في ارضه. كم لعنت غبائي أني صدقته بادئ الأمر. كم عاقبت قلبي لأنه أحبه بصدق. كم لمت روحي لأخلاصها له. وكم خاصمت نفسي لأنها وثقت به. لم يكن لي أن أسلمه سلاح هدمي ليحولني إلى اطلال. يا لحماقتي ظننته سيضئ روحي، ولكن يا لحسرتي لقد أطفاءها بجبنه وكذبه وخيانته وأنانيته.

أوه يا للسخف لماذا أتحدث عنه بتلك المرارة؟. ربما لأنه يشعرني بمدي سذاجتي، وأنا المعتدة بذكائي. لننحي ذكرياتي جانبًا، ولنستمع إلى حكاياتك. لا تريد. لن ألومك فقد ندمت لتفقدها. دعنا نعود إلى ما جئت لأجله، فكلي آذان صاغية.

٧

أنـهم أغبياء

يا عزيزي لا تشغل بالك بهم، فهم حفنة من الحمقى والأغبياء يعلمون ما يدور خلف الكواليس بل يمكنهم أن يقصو عليك من الحكايات ما لا تعرف، وعندما تسألهم لما تجرأتم على ارتكاب مثل هذا الخط؟، أنتم تعلمون كيف يتم الأمر، فكيف تلقون بأنفسكم في مغبة طريق تعرفون خاتمته؟. سيبتسمون لك بسخرية، وعيونهم تشع بالاستخفاف، وسيقولون ببساطة: لأننا بالطبع نختلف

أرجوك لا تغضب عند سماع تلك الاجابة المحملة بكم بشع من الغرور والحماقة، بل بادلهم الابتسامة بأخرى هازئة، ورد بخفة: بالتأكيد أنتم مختلفون أتدرون فيما اختلافكم؟

سيسألونك باهتمام عن هوية الاختلاف. لا تكترث لهم، وأرحل وأنت تجيبهم: لأنكم حمقى بلا شك. كل غبي سقط في بئر سحيق أسن الماء وهو يعلم كان يقول مثلكم أنا مختلف.

لا تزيد حرفًا بعدها، وأتركم في قفار غباءهم يتلقون مصيرهم وأنجو بنفسك من غبار حماقتهم.

٨

أننا لا نتعلم أبدًا

لا تسألني عن سبب حزني، فأني غاضبة من نفسي، أنها لا تتعلم أبدًا. دائمًا تحسن الظن بالجميع، وتفرش لهم قلبها بالزهور، تهش وتبش لكل من بدى جيدًا، لكل من قدم الود، تجلسه في مكان خاص، وتكون طوع أمره، تساعده بأخلاص، تكن مزيج من الأخت والصديقة والأم والجندية، ولكن ويا حسرتي دائمًا وأبدًا يظهر وجههم القبيح بعد برهة، لأجدهم أبالسة، سادة التمثيل، كالأفاعي ناعمين حتى يأخذوا غايتهم، تحكمهم المصالح، لا صدق في حياتهم، يكرهون كل طيب يرونه، يعشقون تدميره. وهناك من ينبذني فقط ليشعر بأنه على صواب أنه لا يوجد شخص جيد سواه، فيفعل الأفاعيل لأرحل مؤكدة نظريته الحمقاء.

لا تزيد من ألم أرجوك، أعلم أني ضعيفة أمام كل مكسور، كل مهيض الجناح، كل عاجز، كل ضعيف، كل مقهور، كل مخذول، كل محتاج. أعلم أني ضعيفة أمام الدموع، ونظرة الإنكسار، وجروح الأرواح. أعلم أني صبورة على الأذي مادام الطرف الأخر يحبني، ويقدرني، ويحترمني، ولكنهم لا يفعلون.

يا عزيزي طاقتي نفدت، لم أعد أملك مقدار ضئيل من التحمل، لا يمكنني أن أعطيهم فرص أخرى ليؤذونني. يكفيني أوجاع. يجب أن ارحل دون كلام، فالعتاب يجرح لا يبقي للود مكان، وهم لا يستحقون عناء التحمل لأجلهم.

٩

حتى أنت يا عزيزي

متكورة على ذاتي كهريرة ضائعة في صحراء ثلجية، أبكي نفسي الوحيدة في عالم كبير ليس به أنيس. حتى أنت يا عزيزي ليس لك وجود إلا في خيالي. استعين بك على مرارة يتم الروح. أبث لك أشجاني وأوجاعي، اسمعك آهاتي وأناتي. أريك جراحي وآلامي.

ما أقسى سحاجات الروح!

فهى لا ترى، خافية عن الجميع. لا يداويها إلا القريب، ولكن أنَّ لي بمثله في تلك الدنيا المقيتة، فأنا شريدة عالم من المتناقضات. تملأه الحروب، ودموع الثكالى، وصرخات المنكوبين. تلوث ارضه دماء الأبرياء المختلطة بضحكات القاتلين.

لا تغضب يا عزيزي، فحتى أنت جزء من ذاتي المعذبة. تغرقك دموع فؤادي المنهمرة كشلال مرتفع يصب ماؤه على حجارة مسننة، تتكسر قطراته لتنتشر في نفسي، تغسل أطلالها من سخام الذكريات المؤلمة، ولكنها تبحث عمن يرفع عنها ركام الحزن الملتصق بارضها. ولكن من لي به؟

هيهات هيهات.

حتى أنت يا عزيزي صرت تهتزر في عيني من أثر بكائي، لتغيب عن خيالي لأجلس وحيدة أضمم نفسه لنفسي، وكلى أمل في عودتك عن قريب. عسى أجد في قربك القليل من

الأنس، وتجمعنا جلسات السمر على أضواء نجم السهى الذي لا يفارق ليلي.

١٠

يخافون الحق

-مرة أخرى يا عزيزي أطالبك بأن تعد عليَّ ما قولته سابقًا، ولكن بأكبر قدر من الهدوء حتى أفهم.

-هكذا أذن. الموضوع في غاية البساطة، ولكني لن أوضح شيئًا حتى تجلس، وتستمع لي بهدوء

هذا أفضل. يا عزيزي أنهم يخشون الحقيقة، ويخافون الحق. يوهمون أنفسهم بأنهم على صواب حتى لا تصدمهم حقيقة غباءهم. لا يريدون أن يروا أنفسهم مغفلين. مجرد دمى في يد من يحبون.

هل تعلم يا عزيزي على الرغم من بغضى للحمقى إلا أني أرثى لهم؟

أجل فهم لا يحبون الاعتراف بالحقائق. يخشون أن تشوه صورتهم الذهنية في خيالهم، وفي نفوس المتعاملين معهم. غير أنهم لا يعلمون أنهم في نظر المحيطين بهم مجرد عقول عفنة مغرورة لا تعى إلا أوهام صنعتها مخيلاتهم المريضة.

يا للبؤس الذي يعيشون فيه دون أن يدروا!

أتعلم أحيانًا أرى أنهم يستحقون ذلك، وأكثر. اوه يا عزيزي لا تكن رهيف القلب هكذا. أتدري أنا لا أعذب نفسي لأجل حفنة من الأوغاد أمثالهم. أنا لا أعيرهم أهتمامًا فقط بعض نظرات الأزدراء المشوب بتعاطف سمج مثلهم، فأمثالهم لا يليق

بعقولهم إلا الوئد. فمن يخشى أن يواجه الحقيقة، ويعترف بخطأه ما هو إلا كفزاعة الحقل التي تقف على أكتافها الطيور تتغوط، فقد فقدت معناها منذ زمن، وهي لا تدري.

١١

حبيسة

حبيسة جدران ذاتي. لا أنيس ولا جليس يطرق بابي. أعتدت على كفوف المحيين من خلف نافذة روحي. الجميع لا يعرفوا عني سوى تلك الباسمة المرحة إلا أنت يا عزيزي. يا من أبتدعه خيالي ليكن رفيق سجني الأختياري. لا تتعجب يا عزيزي، فلم أعد أبالي بصفوف المحيين، فهم على البعد أروع، وعلى القرب أفظع.

أتذكر من ظننته أخي يا عزيزي. لقد آلمني بعدني عنه. شعرت أن قلبي يتمزق قلقًا عليه. وملأ روحي الحنين له بغية الأطمئنان عليه.

تراه بخير؟

هل هو مريض؟

هل يسأل عني؟

هل يتذكرني بالأساس؟

غير أن جرحي في معاملته لي لازال يدمي. كان قاسيًا دون سبب. دائم العصبية والغضب. نكدي المزاج لا يفرح، وكأنما يخشى السعادة أن تطرق باب قلبه. لا يعرف سوى التشاؤم.

لما العجب يا عزيزي؟

تسألني لما أحتملته؟

لأنه أخي الصغير الغالي، وهل يختار أحد منا أخاه؟

أتعلم يا عزيزي أني لازلت أتلمس أخباره من بعيد، وأدعوا له في صلاتي؟

أتدرى ما أتمنى؟

أن يعود الود بيننا. أن أحادثه كما الماضي. أن أطمئن عليه، ولكني لازلت أتعذب لجرحي.

١٢

شهيد

هل تسمع يا عزيزي تلك الزغاريد المنغمة بالنحيب؟

تلك أفراح أهل الشهيد، وأنا منهم، فقد أحببت شهيد. روى بدماءه حبات رمال ارض الفيروز ليحمي بلادنا من كل غاصب، ليكن درع الوطن وسيفه، ليكن حائط الصد أمام أعداءه، ليفديني أنا وشعب بلادنا من كل قاتل.

أتعرف يا عزيزي لقد أنتظرته طويلًا، كمسافر ضائع في صحراء من رمال متحركة يبحث عن شعاع أمل في نجاة قريبة. تركني لأعد نفسي لأكن عروسه، ولكنه كان يزف للجنة. فارقني غير راغب، ولكن الوطن ناداه، فلبي بقلب يبغي الشهادة.

أبكيه يا عزيزي بدموع روحي، ونبضات قلبي، وأنفاس صدري. اواه على راحل عن دنيانا شابًا مزين بدماء الشهادة. يزف بزغاريد الأحبة إلى فردوس ربه. مخلفًا وراءه الغوالي ينهش وداعه أفئدتهم، وتفاصيل أخر لحظة في حياته عيش في نفوسهم، وذكراه تملأ ذواتهم ضجيجًا يمحو أثر الحياة فيهم.

كلا يا عزيزي لا أريد مواساه من أحد. فهل تعيده كلامتكم لعالمنا؟

أتركني أسكب من دموعي أنهارًا تندي تراب مقبرته، ليتحد دمعي مع دمه، ليبقى جزء مني معه حتى الملتقى بإذن

الرحمن. ولنقف نشيعه بفرحة عروس تجهز لعرسها في الجنة.

١٣

دموع

جالسة معطية ظهري إلى الزاوية بين الجدارين، ضامة رأسي إلى ركبتي، مطوقة ذاتي بذراعي، كأني جنين منعزل عن العالم. ألق شروخ روحي، كقطة تلعق جراحها. أبكي بلا صوت، تاركة لأنفاسي المتلاحقة أن تمزق رئتي بصرخاتها، وأنا أسمعها كأنها تأتي من بعيد ليست من صدري. أمسح بنبضاتي النزف عن قلبي المنهوش بأنياب أقرب قريب.

من اسميته الغالي.

ولكن ويا حسرتي وجتني الأبعد إلى قلبه كبعد الشمس عن مركز الكون. لا يهتم لوجودي، فالشوكة لها وزن عنني.

يا له من قاسي القلب.

جاف المشاعر.

جامد الروح.

يجيد إلامي

يدميني.

لا تحركه دموعي.

ولا تهزه أهاتي.

يشاهدني أعذب ببرود.

ما هذه الطرقات على بابي؟

تراه عاد ليراضيني؟

ليمسح بيده دموعي؟

اوه كلا. هل هذا أنت يا عزيزي. أرجوك لا تدخل الآن، فأنا لا أستطيع استقبال أحد. أشكرك لتقديرك لحالتي، ولنتقابل في وقت أخر.

- -

١٤

بلغني

بلغني أيها العزيز ذو الدين والمروة أن بعض مدعي الثقافة والعلم. ممن يحبون التشدق بما يقرؤا، ويصورون أنفسهم مع مكتباتهم، ويقيمون أعمال غيرهم بجهل. ممن يملكون نفوسًا خبيثة، وضمائر خربة، وأهداف بشغة. قد رفعوا شعار التصالح مع الذات، وهذا سيتلزم منك أن تنزع ستر الله عنك، لتذيع خبائث ذنوبك على سائر الخلق. لتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول هذا حلال وهذا حرام. يطالبونك يا عزيزي بأن تفتخر بذنوبك وسيئاتك لا أن تطلب عفو الله عنك. يدعون لكتابة الموبيقات، وخبائث شهواتهم في أعمال أدبية، وكتب ليروجوا لها تحت مسميات أرويتك وبرونجرافي وغيرها ، بحجج واهية أحيانًا هي فن وأبداع، وتارة بأنه جزء من حياة الإنسان . يبثون السموم في عقول الجميع وقلوبهم بحجة لتكن شخصًا واحدًا لا تكن مزدوج الشخصية. أنهم كأيقونات عوالم الرعب الغربية يريدون الجميع مثلهم كائنات مشوهة الأخلاق فاسقة القلوب. أنهم كالأوبئة السوداء تجتاح كل شيء رغبة في الأنتشار. أمثالهم يا عزيزي مجرد مسوخ فصلوا دنياهم المزينة بالموبقات عن أخراهم. يتناسون أنهم أمام بارئهم ماثلون بصحائف أعمالهم ليحاسبوا، ليحمل كل منهم من أوزارهم وأوزار من أضلوهم ليطرحوا في النار. لقد أستخفوا عذاب الأخرة، فنشروا الفجور في الدنيا بشعارات زائفة فالتصالح مع الذات لا يعني ترك حابلها على غاربه

لتفسق، بل بمعرفة عيوبها وتقويمها، لتذكيرها لما خلقت، ومن تعبد وتعريفها الطريق القويم.

١٥

تجاوزت الثلاثين

لقد هرمت نفسي، وشاخت روحي، وضعف جسدي، وشاب شعري من هول ما سمعت، وظنوا أني لا أبالي، فأعادوا ملأ كؤسي بسم حديثهم، لأجرعه صباح مساء. يعايروونني بأني تجاوزت الثلاثين دون زواج، ليس لدي أطفال، وكأني يا عزيزي أختار نصيبي، وتناسوا أنه عطاء الله وفضله. يعاملوني كالمجزوم فتخفي كل منهن أبناءها خوفًا من عيني الحاسدة.

وكيف تحسد عين أحبت أبداع الله في خلقه؟

وكيف تؤذي روحًا تعلقت بملائكة صغار في صور بشر؟

وكيف ترضى نفس بالله اتصلت أن تؤلم صنع باريها؟

لا أعلم يا عزيزي كيف يفكرن، ولكنهن قاسيات القلوب، متحجرات الأرواح. يتفاخرن بزواجهن المبكر عني.

هل يبدو هذا نجاح لهن؟

لا ادري، وكيف يتفاخرن بما ليس لهن به يد؟

وكيف يعايرن من غيرهن بما لا دخل لهن فيه؟

وهل زواجهن الأبكر عن مثيلاتهن يستحق تلك المفاخرة؟

وهل تستحق من لم تنل شرف السبق مثلهن أن تعامل كالكلب الأجرب؟

أرى العجب ينبلج من عيونك. أرجوك أنتظر للحظة. أتري يا عزيزي ما أري. تغار كل منهن على زوجها مني. يعاملنني كلبوة صيادة تنتظر الفرصة لتنقض على فريستها، فيسرعن بالهجوم عليَّ والأنتقاص مني. يؤلمونني حتي الكسر. ينسبون لي دور الخاطفة متناسين أن أزواجهن هم الصيادين يجدون في أقتفاء أثري. ينسجون من كلام الغرام فخاخًا للإيقاع بي. يتنافسوا في التقرب لقلبي المغلق مستغلين وحدتي. هم الذئاب ولست أنا. يثير جنونهم صدي وأعراضي، فيعزفون على أوتار الوحدة وحلم السعادة القديم. يسرفون في سرد نواقص زوجاتهم متغافلين عن أنهم هم النواقص. يثيرون أشمئزازي بذكوريتهم البغيضة، وأخلاقهم المقيتة. لأرحل عن الجميع فتتنفس زوجاتهم الصعداء، ويقمن الأفراح لأنتصارهم في صدي.، فلقد تخلصن من خطر كارثي يتهدد أمان بيوتهن الهش، فأزواجهن يملكن البراءة ومن هي مثل تملك كنوز أغراء بنات حواء بل هي شيطانة ملعونة في ثوب انثي تجاوزت الثلاثين لم تتزوج، وكأن المكر هن وأزواجهن أغبياء. ألا تعسًا لهن من حمقاوات، تغض الطرف عن الحق لغرض ملعون في نفوسهن. أجل فهن متزوجات من أسياد الأرض في عيونهن، ولكن الحقيقة انهن كروش لرأس صلعاء ذات ذمم خربة لا تستحق سوى الدعس بالأقدام، ولكن أن اعترفن بذلك خسرن نقطة تفوقهن المزعوم. ألا تبًا لهن، ولأزواجهن الصيادين.

أسير في الدنيا وحيدة يا عزيزي شاكرة ربي على أنعمه، صابرة على حلم لم يكتب له ربي أن يتحقق إلى الآن غير أني اطمع في عطاء الحنان، وفرحة الفردوس في حلم تحقق

برضى الرحمن، فتقبل عليَّا كل من أكتفت بزوج وبيت كطموح لها لتستعرض بهم وتمعن في أشعاري بوحدتي وبأني غير كاملة، فأنا أنثى مكسورة لا يرغبني الرجال. أم محرومة من الأبناء لا لشيء إلا لتشعر بتفوقها المزعوم بفضل ليس لها به يد، تدفع ابتسامة شفقة على شفتي الحزينة لما أرى واسمع.

يا عزيزي أنا لست مكسورة أو منبوذة أو ناقصة، فأنا من أكمل زوجي الذي سطر اسمي بجوار اسمه في اللوح المحفوظ، وأنا من تجهز لزفاف اسطوري تحضره الملائكة، وأنا من تربي نفسها لتكن لأبناءها مدرسة. ولذلك فأنا سعيدة بعزلتي ووحدتي مكتفية بك وبذاتي ومحبرتي وأوراق. أتجمل بصلواتي وعباداتي. أرتب أمالي وأحلامي في دعواتي للمجيب أرفعها منتظرة أن تكن واقعي وأيامي.

١٦

ذكريات

بين حطام الماضي، وصور من لا يعود، وصوت تاهت نبراته، تحيا ذكرياتي. تلك التي كانت مصدر إلهامي، ومنبع حكاياتي، ومحبرتي التي أخط بها أبجدياتي، فكل حكاية أغزلها لها مفرداتها، حروفها، أبجدياتها. تعود نفسي إلى أطلالها القديمة استنشق عبير فرحتها التي كسرت. أطوف بدماءها التي سفحت على نصل الأحبة. ألومها لأنها أحبت قاتلها. ممن تلذذ بالعبث بمشاعرها. ممن جعل قلبها وعاءًا للدمائها المخلوطة بعشقها وأخلاصها يرتشفه باستمتاع مطالبًا بالمزيد مخضبًا به روحه. يمسك بأحبال روحي يلعب بها باصابعه المحناة بأشلائي.

تناجيني بحزن: لقد قال أنه يحبني. يعشق الأرض التي تطأها قدماي

فأجيبها بألم: أيا بلهائي الحبيبة! أهذه أفعال عاشق مجنون؟، أو محب مغروم؟. أنها يا حمقائي أفعال صياد محترف يجيد سرقة المشاعر، وأطفاء الارواح، وقتل النفوس. أنه سفاح في ثوب برئ، وذئب يدعي أنه حمل. يكفيكِ ما لقيتي من هوان، ولترممي بقايا ذاتك، وعودي بكيونة جديدة قوية تواجه العالم الصفيق بلا خوف. هل تسمعين؟، وتعين؟

أوه يا عزيزي أنت هنا كذلك، فلتعيره سمعك لينصحك. فقط قليلا من الوقت له. انتظري أرجوكِ.

ما كان لك أن تقتحم خلوتها يا عزيزي، فهي تعيش في محرابها. راهبة في دير الحب العذري. يا ليته كان يستحق عشقها له.

أعتذر لك يا عزيزي فقد غادرتنا لتعيش على ذكرياتها. لتستمع إلى أغنية حبها المؤلمة دون ناصح وصديق، فهيا بنا لنعود أدراجنا.

١٧

غفوة

من بين غشاوة النعاس، وظلال الرموش المتلاقية بشوق، وهلاوس الاحلام التي لم تبدأ بعد. اجدني ساقطة في غفوة لذيذة تسرقني من عالم اليقظة البغيض. ارحل معها في رحلة برفقتك أنت يا عزيزي. نرتحل في عوالم الفانتازيا اللامتناهية. بين جبال من مشاعر متداخلة متشابكة.

نركب بساط من مرمر موشى بزخارف لؤلؤية. يقوده بربري يشهر سيفه ذو المقبض الذهبي. معتمرا قبعة من حرير طرزت بخيوط مفضضة على هيئة وردة تتفتح ينبت من قلبها جنية مجنحة ترتجف من صياحه الغريب.

نمر على بحار من لبن بعضها مخلوط بالقهوة سطحه ممتلئ بالقشدة، واخرى ممزوجة بالكاكاو وسطحها شيكولاه بالزبيب والبندق. وبعضها متجمد ككوب زبادي يشقه لبن رائب.

نحل ببلاد من الموالح مكونة تستقبلنا فيها ازهار البرتقال. افيال الماموث المنقرضة تسير في قطعان لتصطف على الجانبين تحينا بثمار الموز. تحملنا السباع على ظهورها حتى الحفل السامر على ضفاف شلالات العسل الابيض والاسود. صياد يرقص برمحه حول النيران مع غزال المسك المدلل. تتحلق الافاعي حول نفسها وتتسلق بعضها مكونة برج القاهرة اللوتسي الرأس.

وحروب بين اوراق اللعب التي تفر من حجر النرد المصر على حكم العالم . تحملنا اجنحة اليمام حتى نلمس الشمس، فاجدني اصرع من ضوء الاستيقاظ. هلمي فقد انتهت الغفوة. لارحل عن عوالم طالما عشقتها وانتميت لها تاركتك يا عزيزي لتنعم بعبيرها.

١٨

ساحرة

"ساحرة أنتِ... فاتنة... سرقتي قلبي، ولم أعد كما كنت بعدك"

يا لها من كلمات أسرة تخطف فؤادي، وترضي غرور الأنثى بداخلي. تجعلني أرقص طربًا على أطراف أناملي، وأغني جزلًا بلحن عاطفي قصير. توقفني أمام مرآتي لا أرى فيها نفسي، ولكني أرى فيها ساحرة القلوب، التي تملكت قلب رجل مثله. أنسى ملامحي التي داعبها الزمن فكبرت قليلًا، واتناسى شعيرات بيض تناثرة على استحياء في شعري. أترك نفسي للحب، وأعشق بصدق.

أتجاهل تحذيرات عقلي، ورفضه القاطع لما يجري. يجالسني كعرافة تضرب بودعها، قارئة طالعي. يصرخ فيَّ أن أفيقي يا ساذجة. أنه ليس بالعاشق الولهان، والحبيب السهران. أنه ذئب صياد يجيد قنص قلوب الفتيات. يستغل تأخر زواجهن، وقوة شخصيتهن، ويتظاهر بالعشق العذري السرمدي حتى تصدقي، فيرحل ليتزوج بأخرى. ليس فيها منكِ من شيء مجرد بلهاء أختارها لتحمل اسمه، وتكن أم أولاده. ربما جاءك يركض باكيًا يشكي حماقته التي أجبر عليها. سيلطم خديه لاعنًا الظروف. اهربي يا فتاتي بربك لا تسقطي في براثنه، فمن أحب يخشى على حبيبته من نفسه، لحفظك في غيابك قبل حضورك، لاهداكِ اسمه، وطفل منه يناديكِ بأمي. هيا يا فتاتي قبل فوات الأوان.

ولكن ها أنا ذا يا عزيزي قد تجاهلت تحذيراته فسقطت مريضة بصدمة شلت حواسي، ودمرت خلاياي، وأطفأت روحي، وجعلت مني خيال ظل لا تخشاه الطيور المعتدية على الحقل.

١٩

القراءة

بين دفتى الكتاب، وأروقة صفحاته تجدني مسافرة، أبحر بين سطوره، تداعب نظراتي كلماته، وتسعد يدي بلمس أوراقه.

أنا الرحالة على قارب من الأبجدية. أطوف بمدن الاحلام، وأغوص في أعماق التاريخ. أحارب بسيوف شتي، وأزرع نباتات مختلفة. أشاهد الانقراض الكبير، وأحضر تجارب فرنكنشتاين، واسكن كواكب في مجرات أخرى.

تراني أجري بين سيقان النعام، وأركض مع الغزلان. أفسد مكر الثعلب، واراقص الحيات. أركب قاربًا من البردي لأزور اطلنطس، وابنى تاج محل لنفسي.

اعرف سر الاهرامات. اكتشف جزر البهاما، وارتحل في استراليا داخل جراب كنغر. اتناول شاي الخامسة مع الملكة فيكتوريا، وأحضر أعدام عائلة رومانوف. أعالج المرضي الوباء الاسود، وأهرب من هجوم التتر، لاختبئ في ميتوكوندريا.

أدرس الفلسفة على يد الغزالي، وأشرح التفاعل النووي لطلابي. أسجل مجازر الحملات الصليبية، ومحاكم التفتيش في الاندلس. اعذب في معتقل سيبريا، وأقتل على المقصلة الفرنسية.

أمتلك من الحيوات ما يجعلني أخوض عوالم الفانتازيا. أعيش كل ما أقرأه بطلة محركة للاحداث. لا أمل ولا يمل مني حتى أنهي كتابي، لابحث عن غيره، فأنا عاشقة القراءة التى تحيا داخل عالم من الابداع اللامتناهي.

يا عزيزي كن رفيقي في رحلتي القادمة لننعم برفقة مرحة تضفي جوًا من المرح.

٢٠

البحر

لقد شاهدت يومًا قرص الشمس يستيقظ من قلب البحر كمارد عملاق أحمر يفيق من سبات عميق؟

وهل شاهدت يومًا يا عزيزي موت الشمس في قلب البحر كجمرة تطفئ في ماء غزيز؟

وهل أستمعت لعزف الأمواج في ليالي السمر؟

وهل شاهدت أضواء القمر تتراقص على صفحة الماء المالح؟

وهل سمعت النجوم تناجي سكان البحر في غياب القمر؟

هل سمعت تراتيل الجنيات عند انتصاف الليل كل ليلة يستدير بها القمر؟

وهل شاهدت رقصات الأسماك على عزف النسمات فوق الماء في السحر؟

وهل راقصت الاخطبوط والقنديل في رحلات غطس مصغرة؟

وهل داعبت مرجان البحر بأناملك المجردة؟

وهل أمسك بالاسفنح بأصابعك لاعبًا؟

وهل سرت يا عزيزي على رماله تقذفها مشاغبًا؟

وهل خضت في غماره تبغي غسل همومك بمياه المعطرة؟

وهل سبحت بين جزيئاته لغمر نفسك بها معزولًا عن حياتك المرتبكة؟

وهل ألقيت بشكواك إلى جوفه حيث لا أحد؟

وهل جالست نفسك وروحك برفقة البحر؟

وهل خشيت غضبته فركضت تنجو بحياتك؟

وهل جعلته يا عزيزي في قلبك حبًا تبثه قصائد الشوق المطولة؟

وهلا سايرتني في رحلتي إليه لأدمج كينونتي بجزيئاته المملحة.

٢١

تنانين

تنانين خوفي تنفث نارها في جوفي متنافسة.

أيهم أشرس لهيبًا؟

أيهم أكثر حريقًا؟

أيهم تحيل قلبي لمدينة زارها بركان ثائر، فأشعل بها نيرانًا لا تنطفي؟

أيهم يشوي روحي لتشتم رائحتها المحترقة في أعماق المحيط؟

يتسابقون على تحويلي رمادًا.

وأيهم يبعثره أولًا؟

يتعاركون فيما بينهم. ليمزقوا ذاتي، ويفتتوا كينونتي، وأنا وحيدة يا عزيزي في نظرهم، إلا أني أملك من الدعاء وحسن الظن بربي ما ينقذني من براثينهم.

يا عزيزي لا تهتم لقسوتهن، فكونك في جوار باريك أهم، فهو الامان والحنان والرحمة.

٢٢

كابوس

يا ألهي الرحيم.. أين أنا؟.. أين أنت يا عزيزي؟

يا له من كابوس مزعج.. قتل حلمي الجميل

كم كنت سعيدة كطير في سماء زرقاء يفرد جناحيه. تداعب ريشاته نسمات سابحة من حوله.

كم كنت فرحة كفراشة تتنقل بين الأزهار. تمازح بتلاتها وسبلاتها، فتقفز حبوب لقاحها مرحًا.

كم كنت مسرورة كنبتة تغمر بأشعة الشمس لأول مرة، فتمد برعمها نحوها شاكرة.

والآن يأتي هذا السواد الثقيل الظل يكتم أنفاسي، يطفئ روحي.

يعبث بأدرينالليني، فتتعثر ضربات قلبي متلاحقة.

تركض إلى أين؟. لست أدري.

يضغط عليَّ بقسوة تحطم أضلوعي.

أني أموت، ولا أحد يدري.

حتى أنت يا عزيزي. يبدو أنك لا تبالي.

٢٣

الليل

يا عزيزي أنه الليل الذي لا يعرف سوى الذكريات، والأنين، ودموع المشتاقين، وحنين إلى الراحلين، ووصية أرواح محطمة على أرض النفاق.

يا عزيزي أنه الليل الذي تغنى به المساكين من أهل الهوى، الظانين بأنهم خبروا العشق الأبدي الأوحد، وجهلوا أنهم ضحايا حب من طرف واحد. أخلصوا لمن خانوا.

يا عزيزي أنه الليل الذي حمل قمره برسائل منذ بدأ الخليقة، ولم يكف عن توصيلها بكل همة، كأنها رسائله خطها بمداد من ضوءه ليعكسها في قلب قارئها.

يا عزيزي أنه الليل حيث حفلات السهر، ونجوم تضيء مشاعل السمر لتؤنس رواد ليلهم من الغادين، والمقيمين، وعابري السبيل.

يا عزيزي أنه الليل حيث صولات القلم والكلمات على صفحة الأوراق. نزال يمتع القراء المفتونين بسحر الحروف، وفصاحة الأبجدية على أسنة الاقلام الفتية.

يا عزيزي أنه الليل الذي يجمعني بك لنأنس بحديث بلا حدود. حديث الأرواح والقلوب، وأنفس صادقة مصدقة.

يا عزيزي أنه الليل حيث أنا وأنت كينونة واحدة يجمعنا كلام كثير ملئ بهزيان مريح.

يا ربي الرحيم.. ما بك يا عزيزي؟.. لا داعي لقدومك كالعاصفة الهوجاء، فأنا لا أفهم حرفًا مما تقول.. قليلًا من الهدوء، وقص عليَّ ما جرى.

هل أتي لك بكوب من الحليب الممزوج بالكاكاو؟، أم أتيك بكوب من عصير الليمون المنكه بالنعناع؟

يبدو أنك لا تريد شيئًا من ذلك. أذن فلتجلس قبالتي على هذا المقعد الخيزران، ولتبدأ بقص ما كان.

أرجو ألا تمانع في تناولي لمشروبي المفضل. أوه لا تقول أنك نسيت ما هو.

حسنًا. أجابة صحيحة. أنها تلك القهوة المحمصة مرتين المعروفة بالنسكافية مذاب فيها القليل من اللبن.

لا داعي للغضب. أني أهون عليك. موضوع جلل كما أرى. هات ما عندك.

هكذا أذن.. فلتعرني سمعك يا عزيزي

أن النقد الأدبي على مدرستين. الأولى لا تذكر ألا كل ما يعيب النص، وذلك لقناعتهم أن الأصل في العمل ما هو صحيح، فلا داعي لذكره. أما الثانية، فتعمل علي ذكر مميزات وعيوب النص. عملًا بمبدأ العدالة والأنصاف، فلا نص أدبي يخلوا من شيء من الصحة.

أرجوك تذكر كلمة أدبي جيدًا، فليس كل نص يصلح بأن ننعته بالأدبي.

بلى.. ما يحدث الآن.. هي محاولات للنيل مع البعض. أحتقار كل كاتب جديد. حقد من لم يستطع أن يكون كاتب مثله. ظن البعض أن ذلك يعظمه، ويعطه هالة الناقد الرشيد. شخص يكره من هو أفضل منه. قارئ سخيف يريد أن يشعر أنه مثقف.

وأخيرًا يجب على الكاتب أن يثق في قلمه. يستمع للنقد بوعيه. يستفيد من كل ما يقال له. لا يهتم بما لا طائل من وراءه.

والآن. هيا بنا نقرأ كتاب جديد.

هيا بنا يا عزيزي، فلنبتعد عن هذا البركان الثائر.

أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أنها لحظات قبل الأنفجار المروع الذي سيطيح به، وبمن حوله.

لنرحل من هنا، وسأجيبك. لا تقلق.

أجل.. أظن أن تلك مسافة أمنة.

لم أنس يا عزيزي. أنه بركان الأنتقام الذي ما أن يثور حتى يحطم صاحبه، ولا يعد كما كان.

ألا يكفي صاحب البركان الأذى الذي طاله من أفعالهم حتى يكمل تدمير ذاته ليقتص منهم.

أنهم لا يستحقون أن يفنى كينونته فقط لينتقم من هذه الحثالة.

أجل أنهم حثالة البشر.

من ينفثون سمومهم في حياة غيرهم.

ينقلوا دمار نفوسهم لنفوس غيرهم.

كأنهم فئران أوروبا التي تحمل في ذيولها الوباء الأسود "الطاعون" الذي أفني الملايين من البشر.

أنهم يعشقون الخراب، فلما نساعدهم على تخريب ذواتنا؟

أنه غباء يا عزيزي، وأنا لست منهم.

نعم.. نعم. أنا أترك حقي للبارئ ليجيرني في مصيبتي، ويخلفني خيرًا منها، ويأتيني بحقي، ويغمرني بعوضه، فهو القادر الكريم ذو الفضل العظيم.

هيا بنا حتى لا يطالنا الأذى دون جريرة، فهذا البركان يعمي صاحبه، فيقتل كل من يحيط به دون أن يعي.

٢٦

قرارات

هل تسمح لي بقليل من الهدوء يا عزيزي؟

أرجوك كن لطيفًا، وأجلس في صمت، فأنا أعيد حساباتي، وأراجع قراراتي.

يبدو أنني أخطأت في بعضهم، ولهذا أتسائل هل فات أوان تصحيح تلك القرارات؟

لا أدري حقًا ما الذي دفعني لأتخاذها. ربما بلاهة الموقف، وتسرعي وغضبي.

أتعلم يا عزيزي. هناك مواقف تجبرنا على أتخاذ مثل تلك القرارات بدافع الحفاظ على كرامتنا، أو الانتصار لأنفسنا.

ولكن هذا غباء مطلق، فأحيانًا نتخذ ما يضرنا.

وأحيانًا بدافع الحب نتأخر في أتخاذ ما هو صحيح، فنتجاهل، ونغفر، وننسي، فنضيع.

أظن يا عزيزي، أنه دائمًا مجال لتغير تلك القرارات، وأعادة الترتيب لحياتنا، وفتح نوافذ الأمل لتشرق في قلوبنا.

لذلك فلتأتني يا عزيزي بتلك السلة، لأرمي فيها قراراتي الخاطئة بعد تمزيقها، ولنشرع في كتابة ما هو صحيح.

٢٧

المجهول

المجهول.. أنه رعب البشر منذ الخليقة.

المجهول.. كلمة واحدة كفيلة ببث الخوف في قلوب أشجع الرجال.

المجهول.. هو أيقونة الفزع البشري التي لا تبلى مع مر الزمن.

المجهول.. أنه يجمع في طياته كل المخاوف الإنسانية بلا أنتقاص.

المجهول.. أنه الكيان الغامض بلا وجه ثايت، المتشكل بأسوء كوابيس كل إنسان.

المجهول.. هو الخوف الذي يهز روحك داخل جوفك، ويرعش نفسك، ويمرض خلاياك.

المجهول.. هو ذلك الكابوس الجاثم على قلبك لا يبرحهه

المجهول.. هو ما يحيل حاضرك جحيمًا خوفًا على مستقبلك

يا عزيزي لتعلم أن المستقبل بيد بارئك، فلا داعي للخوف مما هو لن يخرج عن قدر الله لك، فاستعن به، وعش حاضرك في رضاه، ليجعل مستقبلك ما يرضيك.

يا عزيزي أنه مجتمع يفتقر إلى الحب.

يختزلونه في نوع واحد، ولا يجيدونه.

لذلك يعيشون في شقاء أبدي لا مفر منه.

تسألني عن أنواع الحب. سؤال رائع.

سأجيبك، ولكن دعنا نجلس قبالة البحر، لنستمتع بنسماته، ورذاذه المحمل بالملح.

الحب على أنواع كثيرة، وهي:-

-حب إله، ذلك الحب الذي تكنه لخالقك من أنعم عليك بالحياة، وأفاض عليك من نعمه ما تشعر بها، وما خفى عنك. مدبر أمورك، وميسر عسيرك، غافر ذنبك، مجيب دعوتك. أقرب إليك من حبل الوريد. أنه الحب الذي يجعلك من سعداء الدارين.

-حب الرسول –اللهم صلِ وسلم وبارك عليه- الذي أرسله لك الله ليهديك إلى طريق الوحدانية، والعزة. هذا الرسول الذي علمك أمور دينك. من يملك الشفاعة والشربة الهنيئة التي ندعوا الله بها. أنه الحب الذي يطهر نفسك، ويزكيها.

-حب الوالدين لأبنائهما، وهو الحب الفطري الإلهي الذي يزرق في قلبهما من قبل أن يولد أبنائهم. الذي يدفهم لإيثارهم عن أنفسهم، ليجوعا حتى يشبعوا، ويسهرا كادحين لينام

مطمئنين. أنه الحب الذي لا ينضب، ما يجعلك تعيش في فردوسه لا تحتاج لشيء.

-حب الأبناء لوالديهم، وهو حب فطري يولد معهم منذ أن خلقوا في رحم الأم. أنه حب بلا أغراض. حب للحب، مهما ظهروا متطلبين، فأنه تعبير عن عمق محبتهم، فأنت لا تطلب ألا ممن أحببت.

-حب الأخوة، وهو تبادلي متأثر بالمحيط، فإن نبت و تبرعم أزهر حياة رغدة لا يشبوها خوف من مجهول.

-حب الأصدقاء، وهو ما يعطيك أخوة من أب وأم مختلفين ولكنهم أشقاء روحك. سندك وأمانك. يرون عيوبك فيستروها. يذيعون مميزاتك. هم لك وأنت لهم بلا أى كادر.

-حب الزوجين وهو العشق الحلال الذي ينبت برضا الرحمن، يوحدهما بعد أن كانا اثنين ليسافرا في سفينة الحياة دفة وشراع. هو الباني للأسر وجنة لأطفال جاءوا بأمر الرحمن. حب لا يكفيه الكلام، ولكنه هو روح في جسدين، ونفس في جنبين، ودقات قلب في فؤاد الأخر، وانفاس رئة في صدر الشريك. هو الشراكة الوحيدة التى يكسب طرفاها معًا، أو يخسراها سويًا، لا طرف فائز، وطرف خاسر.

أوه يا عزيزي سرقنا الوقت، وبجمدت نسماءت البحر، وحل الليل.

هيا بنا لنحتمي من هذا البرد المنكه باليود.

٢٩

فيروز

"علموني هن علموني... على حبك فتحولي عيوني.. ولتقاينا وأنحكى علينا... علموني حبك ولموني"

رائعة فيروز المعبرة عن علاقتي بها.

ما هناك يا عزيزي؟

تسألني عن سر الأغنية؟، أم سر علاقتي بفيروز؟

الأغنية من أغاني فلم "سفر برلك"، كلمات وألحان الأخوين رحباني. تلك العائلة التي استأثرت بفيروز إلى الآن، فهم الزوج والابن والابنة.

أما علاقتي بفيروز فهى غريبة إلى حد ما. لقد كنت أكره سماع صوتها، فأنا لا أفهمها ظللت كذلك حتى أنهيت الصف الثالث الأعدادي. حاول أبي وخالي وأعمامي لجعلي أحبها، وقد كان ما أن انهيت المرحلة الأعدادية حتى بدأت استمع لها، ثم عشقتها حتى جننت بها. تجد شرائط كاسيت لها، واسطوانات. ذاكرة الهاتف والحاسوب تخضع لسيطرتها، فهي أرضها الخاصة لا ينازعها فيها أحد.

عندما أحزن، وعندما أفرح، عندما أكون في خلوتي، وعندما أسهر. صباح مساء تشاركني فيروز.

مل الجميع من استحواذ فيروز عليَّ بالكامل، وبدؤا يلومنني وأنَّى لهم ذلك؟

وهم من علموني حبها.

هل تحب يا عزيزي أن تشاركني سماع أغاني فيروز؟

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - .

٣٠

أفراح

هيا يا عزيزي لنرفع الزينات، ونهني الجميع، فقد بدأ موسم الأفراح. هيا لنشارك الجميع في الاحتفال.

أتضحك من كلامي عن موسم الأفراح، ولما؟

لأن الأفراح لها مواسم. يا لها من أجابة.

لا يا عزيزي الأفراح ليس لها مواسم عندما تكن أنت من تبثها في قلوب من حولك.

عندما ترسم البسمة على وجه عجوز.

عندما تضحك ثغر طفل صغير.

عندما تمسح ملامح الحزن عن شاب.

عندما تكن كبابا نويل توزع الفرح على القلوب، ولكنك طوال العام ولكل الناس.

أتدري ماذا يحدث عندما تسعد من حولك؟

ترتد إليك السعادة أضعاف مضاعفة. تجد قلبك يرقص طربًا. وروحك تطير بخفة. تصبح شخصًا أفضل.

ما رأيك يا عزيزي؟

هل تحب أن تكون باعث للساعدة؟

أم مشارك في مواسم الأفراح؟

الباب الثالث

الشعر

شظايا الروح

"الروح هي ثالث الجسد والنفس المكونة للإنسان. بكمالها يكتمل الإنسان، وبتشظيها ينهار الإنسان. يصبح كالمحتضر يتجرع كؤوس الألم في كل ثانية من لحظات حياته. تتحول دقات قلبه لمؤقت للحظات عذابه الذي لا ينتهي إلا بموته."

١ *أسعد الله صباحك

أسعد الله صباحك

أيها الغائب عن عيني

حاضر في قلبي

أسر روحي في سجون الحنين

أشتقت إليك شوقًا فتت خلاياي

إلى ذرات مبعثرة في جسد شمعى عديم الحياة

شوقًا ينسف جبال الأرض فيحيلها غبار

شوقًا أمات الأحياء بقلبي قبل عيني

شوقًا جمد أنفاسي داخل جدران صدري

شوقًا يبخر محيطات العالم في لحظات

شوقًا يخرس الأبجدية

ويشتت أحرفها

فلا أجد ما أقوله لك سوى

أيها الراحل أسعد الله صباحك

٢*الغائب الحاضر

إلى الغائب الحاضر في كلماتي

تحياتي إليك يا غافي بين حجيرات فؤادي

يا راحلًا عن أرضي وساكنًا سمائي

أما بعد فقد أشتقت إليك سيد روحي

أفتقدك يا نفسي السابحة في كيانك

طال غيابك حتى ظننته الفراق

ولكن كيف تفارق وطنك يا أغلى الأحباب

ملكي المعظم أنت دون سواك

حاكم ممالك قلبي رحماك

لقد ذبحني غيابك على أعتاب عرشك

عد إليَّ ولننسى أسباب الفراق

عد لي وحدي دون شركاء

فلأرضك سلطان واحد هو أنت

٣*تواسيني

تواسيني بكلمات عجاف
كأنوار السها في ليلة مقمرة
قولي بربك هل تصدق
أني لازلت بقلبك
تلك الحورية الملائكية
نجمة في سماء دنياك
نقش أسمها على جدران قلبك
بأحرف من عشق سرمدي
وأن صدقتك وكذبت هواجسي
هل هذا يغير من الأمر شيء
أنت لها ولست لي
وليدك منها هي
هي التي تدعي أنها أنا
أنا هذا الحطام
القابع على طرقات الهجران المقفرة
أرثو حبًا عمر مدن قلبي للحظة
ثم أحلالها إلى خرائب متربة

ملئ بلياليي الهجر المدمرة

وأرشف عبارات روحي الباكية

وأسأل نفسي بربي

هل لازال له في قلبك مكان

فتجيبني هو عنواني

وسكني وكياني

٤*بقايا أنثى

جسد مهترء يخفي
روحي الممزقة
وأنفاسي المبعثرة
ونزيف فؤادي
بصدر مشقوق
خلف أضلع مكسرة
وبقايا أنثي
خلفها رماد الفراق
تستوطن خواء خلاياي
ونبضي الخافت
يعزف ألالام ألحانًا
تتردد في فضاء
النفس المدمرة
فراق لم نبغيه
حل فأحل كل حياة
إلى خرائب عامرة
بنيران الغيرة

ودخان الشوق
ودموع الغياب
وهدير الذكريات
وأطلالك داخلي
تقف شامخة
في وجه غيلان الهجر
والهواجس السوداء
التي تهسهس في خبث
لقد خان وفارق إلى غير مكان
وبنى بيتا من مرمر
في قلب غيرك
وأسكنها نفسه
وألبسها خاتمه
وأسماها زوجته
وتركك في صحراء العذاب
صريعة بين فكيّ
الغدر والكفران
فقد كفر بعشق
يشق الجبال
وزهد في قلب

كان له بستان

وروح كانت له فردوس

ونفس كانت تشرق له

وعين لا تراه إلاه فأعماها

وأحلامًا شيدها مدنًا

أحالها ركام

أنتِ تموتين بسهام الظلم

وهو يعد نفسه

لوليد من صلبه

حملت به غيرك

فعلما تقدسين أطلاله

وتطوفين بين ذكراه

٥*يومًا ما

رحلت عن قلبك وأنا أحمل مفتاحه

أعلقه قلادة على جيدي

كمقدسية هجرت قصرًا من بيتها

تقبل بابه مودعًا والدمع يبلل أخشابه

لملمت ذكرياتها ودفاترها بقلبها

تركت روحها تطوف بأطلاله

بسماتها وأهاتها بين أركانه

أيامها وأحلامها في شرفاته

ضفائر أسدلتها أمام مرأته

حجاب تزينت به على أعتابه

رحلت عنه ولم ترحل منه

تتلمسه والأمل يحدوها

في العودة إليه يومًا ما

٦*في غيابك

أصبحت عجوز هرمة
تسير متلحفة بكفنها
تستند على أطلالها
تفوح منها الذكريات
تجاعيد روحها
تشوي كيانها
وشروخ ذاتها
تحرق خلاياها
ممزقة النفس
متغضنة الجسد
بالية العظام
لا يفصلها عن قبرها
سوى أمل في عودتك

٧*أوراق

أنا أوراقك المنسية في ذكرياتك

أنا نقش وسم به قلبك

أنا عبراتك المخفية في روحك

أنا أهازيجك المحفورة بوجدانك

أنا سر الحياة بكيانك

أنا من تناسيتها ولم تنسها

أنا فؤاد ينبض لك بأيامك

أنا روح ترفرف في جنباتك

أنا انفاس تطوف بخلاياك

أنا التي استوطنتك وأحتلتك إلى الأبد

٨*مجهدة

مجهدة متعبة أنا بدونك

كعجوز أنهكها قصف مدينتها

كزهرة قطعت أوراقها

كدمية بيد طفل حانق

كهرة يقصفها رعد غاضب

كفقمة تراوغ القرش نجاتًا بحياتها

كطير قص جناحاه

كدوار شمس بلا شمسه

كنجم بلا قمره

كشجرة نزعت جذورها

كأم خطف منها رضيعها

كصدر مزق قلبه

كميت الروح حي الجسد

٩*رحيل

كيف طاوعك قلبك على الرحيل؟

أم عشقت قصائدي أن تبدأ بفي غيابك؟

أم أن برودة الفراق أحبت سكن جسدي النجيل؟

أم أن روحك طربت لأنات فؤادي الممزق بيديك؟

أم أن نفسك تلبست بأخرى لسفاح بغيض؟

أم أنك مثلي تسكر بأقداح العذاب السرمدي؟

أم أنك تدور كالمجذوب في فلك طيفي الممزع؟

أم أنك صرت جسدًا بلا روح وقلب بلا نبضات؟

أم أنك ترفرف كالطير المذبوح على طرقات البعاد؟

١٠*يغافل

ويغافل قلبي عقلي

متناسيًا عهده

ويخفق لك بحب

وأن انتبه له

تباطئت دقاته معتذرًا

وهو يخفيك بدعواته

ويشكوا عقلي قلبي إلى الله

ويطلب له المغفرة من خالقه

فيا رب أعفو عن مضغة بين جوانحي

ليس لي عليها سلطان

تخفق لمن كتبته لها عشقًا

وليست على أخراجه بقادر

١١*وأن سألوك

وأن سألوك

من أي البلاد أنت،فقل

تلك التي توأد الحب

وتمثل بقلوب العشاق

وتنهش أرواح المحبين.

وتشرب دماءهم حتى الثمالة

وترقص على أشلائهم المبعثة

وتحرق أطلال ذكراهم

وتبعثر رمادهم مع أوراق الخريف

١٢*رفعت يدي

رفعت يدي لرب البرية داعيةً
بأن يجمعني بك عن قريب
وكيف يرد مطلبي دون عطاء
وهو الذي وعدنا بأن يجيب
وكيف لا أدعوه بك يا منى القلب
وهو الذي زرعك في الفؤاد حبيب
وكيف أحيا بين البشر دونك
وأنت الروح وللنفس الطبيب
ومالي وللدنيا وأحلامها
وأنت عني بعيد
وأني أعيش على أمل لقاء قريب
عودة بلا فراق وبقاء ليوم معلوم
لا تلومني على أملي أو حزني
لا تسألني عمَ تعلم رده
فأنت أدري مني بحالي
يكفيك أنت تنظر إلى قلبك
وأن تغمض عينيك على طيفي

وأن تلمس كياني داخلك

لتعرف ما تريد

١٣*عمت صباحًا

عمت صباحًا أيها الغائب

لا تتعجب من صباح بنكهة الجاهلية

وكيف لا أهديه لك

وأنت من كفرت بحبي

ورحلت عن عيني

وأخترت سواي

لا لشيء ألا هربًا من عشقك لي

دعني أسألك هل نسيتني حقًا؟

هل عشقت غيري؟

أيخفق قلبك دوني؟

أيضئ ثغرك لأخرى؟

ألتمع عيناك لها ؟

لا تجيبني

ولكن أجب فؤادك

الذي وعدني ألا يعشق سواي

١٤*في غيابك

في غيابك
تمر الثواني كالقرون
ثقيلة كالرواسي
تدك قلبي بخطواتها
تشعل لهيب الشوق
في خلاياي
تدمي روحي
حنيني إليك يحرقني
يذكرني كل شيء بك
كأني نسيت
وأنا لا أنسى
تضاءل كل شيء
في عيني
عدا غيابك

١٥* وأسموه فراق

قالوا أننا تفارقنا

ولم يعد بينا غير البعاد

وأن غيابك بلا عودة

وأن روحينا قد انشطرتا

وقلبينا قد توقفا عن الخفقان

وأن أنفاسنا قد أنقطعت

وأن دموعنا قد تحجرت

وأننا أموات بين الأحياء

يحسبون شتات أنفسنا

وغيابك عني هو الفراق

ولكنه حضور من نوع أخر

أنت الغائب عن عيني

أنت الحاضر في كياني

أنت الغافي بخلاياي

أنت فؤادي النابض بصدري

أنت أمنياتي وأحلامي

أنت دعواتي في صلاتي

ثلاثة أبواب مختلفة تقف أمامها.

تلوح لك الكلمات المختبئة خلفها.

تأخذك في جولة في رحاب ثلاثة أنواع أدبية متباينة. تشترك في كونها مهداه إليك، خطها القلب بمداد من محبته لك، متمنيًا أن تنول رضاكم

المؤلف